دولة الكويت

سلسلة مطبوعات

المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية

السلسلة التراثية (الندوة الأولى)

ابن رشد

الفيلسوف

ثبت كامل لأعمال الندوة التراثية الأولى عن
ابن رشد الطبيب والفقيه والفيلسوف
المنعقدة في الكويت
بتاريخ ٢٢ شعبان ١٤١٥ هـ الموافق ٢٣ يناير ١٩٩٥م

إشراف وتقديم
الدكتور
عبد الرحمن عبد الله العوضي
رئيس
المنظمة الاسلامية للعلوم الطبية

تحرير
الأستاذ
عبد الحميد البسيوني
الدكتور
أحمد رجائي الجندي

١٩٩٥

دولة الكويت
سلسلة مطبوعات
المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية
السلسلة التراثية (الندوة الأولى)

ابن رشد
الفيلسوف

ثبت كامل لأعمال الندوة التراثية الأولى عن
ابن رشد الطبيب والفقيه والفيلسوف
المنعقدة في الكويت
بتاريخ ٢٢ شعبان ١٤١٥ هـ الموافق ٢٣ يناير ١٩٩٥م

إشراف وتقديم
الدكتور
عبدالرحمن عبدالله العوضي
رئيس
المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية

تحرير
الأستاذ
عبدالحميد البسيوني
الدكتور
أحمد رجائي الجندي

١٩٩٥

حقوق النشر محفوظة للمنظمة الإسلامية
للعلوم الطبية، لا يسمح بنشر هذا الكتاب أو
أي قسم من أقسامه بالطبع أو التصوير أو بأي
شكل آخر إلا بإذن خطي من إدارة المنظمة

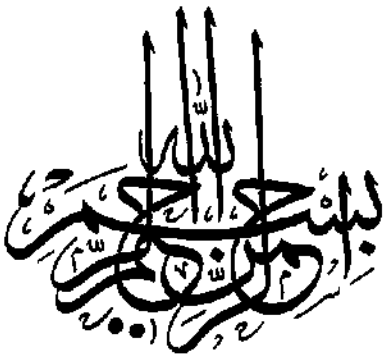
بسم الله الرحمن الرحيم

محتويات الكتاب

الموضوع — الصفحة

مقدمة :

لسعادة الدكتور عبدالرحمن عبدالله العوضي ٩

تقديم :

الأستاذ عبدالحميد البسيوني والدكتور أحمد رجائي الجندي ١٣

الجزء الثالث

ابن رشد الفيلسوف

١- ابن رشد المتكلم

الدكتور حسن الشافعي ٥٠٥

- المناقشات ٥٣٥

٢- نصوص جديدة حول ابن رشد

الدكتور محمد بن شريفة ٥٤٩

- المناقشات ٦٠٩

الجلسة الختامية : ٦١٩

١- كلمة الدكتور إبراهيم بن مراد ٦٢١

٢- كلمة الدكتور حسن الشافعي ٦٢٢

٣- كلمة الدكتور عبدالله الغنيم ٦٢٤

٤- كلمة الدكتور أحمد رجائي الجندي ٦٢٥
٥- كلمة ختامية لسعادة الدكتور عبدالرحمن عبدالله العوضي ٦٢٩
* **أسماء المشاركين في الندوة** ٦٣٣

مقدمة

للدكتور عبدالرحمن العوضي

إذا كان «الفكر» هو صانع الحضارات، و«العلم» هو أسس المدنيات، فالقسم المزدهر من تاريخ البشرية هو المنبعث من الفكر، المبني على العلم، وبتواصل حلقات هذين التوأمين: الفكر والعلم، تتجدد المسيرة، مستلهمة ما تكاتف من معطيات القرون الخالية، فيما تسميه كل أمة «التراث» الذي تعتز به أيما اعتزاز، لأنه يمثل أصولها وجذورها، ويمثل في الوقت نفسه دافعيتها نحو الإبداع، وقدرتها على التفاعل مع الحياة والكون والالتحام بالعصر.

من هنا كان حرص المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية على عقد ندوات جامعة، يشترك فيها المختصون بحسب موضوع الندوة، لمناقشة مسائل حيوية برزت على الساحة، وتمثل - في بعض جوانبها، لا من حيث الظاهر - تصادما تحتد درجته أو تخف مع مواريث الأخلاق والشرائع التي اصطلح عليه مجموع المؤمنين بالديانات الإلهية، ولا سيما المسلمون، الذين لديهم ثروة هائلة جدا من النصوص والاجتهادات الفقهية.

لقد عالجت ندواتنا السابقة موضوعات فقهية طبية، مثل الإنجاب في ضوء الإسلام، والحياة الإنسانية بدايتها ونهايتها، ورؤية إسلامية لبعض الممارسات الطبية، والمشكلات الاجتماعية لمرض الإيدز،

وزراعة الأعضاء من منظور إسلامي، والمواد المحرمة والنجسة وحكم استخدامها في الغذاء والدواء.

ولكن ندوتنا هذه اتجهت اتجاها تراثيا، فلم تختر المنظمة موضوعا، بل اختارت «علما» من أعلام الفكر، هو ابن رشد الحفيد. ولم يكن هذا الاختيار فكرة طارئة، وإلا فإن هناك في المجال الطبي من هم أشهر من ابن رشد كابن سينا والرازي وابن النفيس.

لقد جاء اختيار ابن رشد لاعتبارات كثيرة:

منها أنه فقيه فيلسوف طبيب.. فهو صاحب «بداية المجتهد» الكتاب المشهور في الفقه.. وهو الذي قدم أرسطو من خلال ترجمات وشروح وإضافات كثيرة، فضلا عن مؤلفاته في نفي التعارض بين صحيح الفلسفة والشريعة.. وأخيرا فابن رشد هو صاحب «الكليات» الكتاب الطبي المشهور، إضافة إلى مجموعة من الرسائل الطبية المهمة.

والاعتبار الثاني أن ابن رشد «أعيد تصديره إلينا» إذا صح هذا التعبير التجاري، فقد احتفلت به كثيرا أوروبا في عصر النهضة، ولكن لأغراض ومفاهيم تخص تطور الحياة الأوروبية، وكان لهذا أثره في تشكيل صورة ابن رشد لدى كثير من المثقفين المسلمين والعرب، مما يدعو إلى ضرورة إعادة الصورة الرشدية الإسلامية العربية من خلال قراءات وتنقيبات جديدة وجادة في المكتبة العربية قديمها وحديثها.

والاعتبار الثالث أن هذه الندوة تتوافق مع مرور ثمانية قرون على وفاة ابن رشد.

والآن، ندع الباحث والقارئ مع البحوث التي قدمت في هذه الندوة، والتي أثريت بحوارات كثيرة ومهمة، ويكفي أن أشير إلى أن كثيرا من المختصين ممن شهدوا هذه الندوة، وهم الذين يعلمون

مواطن المشكلات في الموضوع. نوهوا بأن الندوة ذللت كثيرا من الجوانب الرشدية، وصححت بعض الأفكار، وكشفت عن مناطق جديرة بإعادة البحث.

وفي ختام كلمتي هذه، أشكر لكل من أسهم في نجاح هذه الندوة، إعدادا ومتابعة وإشرافا وتنفيذا، ولكل الذين شاركوا فيها من الباحثين، ولكل رؤساء الجلسات، والمحاورين، والحاضرين.

كما لا يفوتني أن أنوه بالتعاون المتميز القائم بين المنظمة ووزارة الصحة ومؤسسة الكويت للتقدم العلمي.

وأسأل الله سبحانه أن يتقبل هذا الجهد، وأن يوفقنا لخدمة أمتنا المسلمة، إنه سميع قريب.

تقديم

الأستاذ عبد الحميد البسيوني و الدكتور أحمد رجائي الجندي

بين يدي الباحثين والقارئين والمهتمين بالدراسات التراثية عامة، والرشدية خاصة، السفر الجامع لبحوث وحوارات، قام عليها نفر من أهل الاختصاص، مدارها كلها:

ابن رشد: فقيها، وطبيبا، وفيلسوفا.

كانت نقطة الارتكاز في الجانب الفقهي لدى ابن رشد هي كتابه «**بداية المجتهد ونهاية المقتصد**»، وقد حظيت دراسة هذا الجانب بثلاثة من أعلام الباحثين:

الواعظ الخراساني، الفقيه الشيعي الكبير، والعالم المعروف بالحرص على التقريب بين المذاهب الإسلامية. وقد اتسعت بدراسته النظرة الفقهية للبداية، من حيث أصولها وتأثرها وتأثيرها.

والدكتور محمود علي مكي، العالم الموسوعي، والمختص بالدراسات الأندلسية: تاريخا وأدبا وثقافة وشعرا، مما ظهر أثره واضحا في هذه الدراسة التي جمعت الجهود السابقة التي تناولت «**البداية**» فضلا عن التحليل الموضوعي للكتاب وأهميته.

والدكتور محمد حجي، وهو - وإن كان معروفا لدى القراء فقيها ورجل شريعة بسبب ما حققه من أمهات الفقه المالكي - مؤرخ في الأساس، ولذلك تجلى هذا الجانب بارزا في بحثه كما يرى القارىء.

وفي الجانب الطبي كان هناك ضربان من الدراسات:

ضرب طبي، يقوم على توضيح مكانة ابن رشد بين أطباء عصره، وسابقيه ولاحقيه، مع إيضاح إنجازاته الطبية. وتكفل بهذا الضرب بحثان:

- بحث الدكتور أبو شادي الروبي «**ابن رشد طبيبا**».
- وبحث الدكتور إبراهيم بن مراد الذي عالج النبات الطبي بين ابن رشد وابن سينا، وبتعبير آخر علم الأدوية المفردة في قانون ابن سينا وكليات ابن رشد.

أما الضرب الثاني، فهو الطبي التراثي، وقد تكفل به بحثان:

- **ترياق ابن رشد**، تحقيق ودراسة، اشترك في إعدادها الدكتور أحمد رجائي الجندي وعبدالحميد البسيوني.
- **شرح ابن رشد لأرجوزة ابن سينا في الطب**، وهو مخطوط قام بدراسته والتعليق عليه الدكتور عمار الطالبي.

وفي الجانب الفكري كان هناك:

- الموقع الفكري لابن رشد للدكتور محمد عمارة.
- ابن رشد المتكلم للدكتور حسن الشافعي.

مع إضافة تنشر لأول مرة، وهي «**نصوص جديدة حول ابن رشد**» قام بتحقيقها والتعليق عليها الدكتور محمد بن شريفة.

ولقد حرصنا على رصد جميع الحوارات حول كل بحث، بما يعطي الموضوع إضافات مهمة، ويثير مشكلات جديرة بالدراسة.

أما نتائج الندوة، فقد كانت جديرة ببيان مفرد، ولكن أهمها مما لا خلاف عليه:

١ - أن دراسة الأعلام الكبار، وإن كانت تراثية المنشأ والهدف، لها

أهمية كبرى، لأنه ما من علم يمكن أن يقال إنه قد فرغ منه، كما تبين من خلال هذه الندوة عن ابن رشد.

٢ - لقد صححت هذه الندوة أفكارا كانت كالمسلَّمات عن ابن رشد وعصره: كمحنة ابن رشد، ومسألة إحراق الكتب في تاريخنا.

٣ - كانت الصورة الأوروبية عن ابن رشد هي النافذة الأوسع التي نظرنا من خلالها لمفكرنا المسلم العربي، وقد آن الأوان أن نعرف ابن رشد كما هو، في إطار ثقافتنا وحضارتنا الإسلامية العربية.

٤ - الدعوة لتوظيف التراث وبعض نتائجه لخدمة المعاصرة، شريطة أن يكون هذا الأمر بحقه، بعيدا عن الخطابية والمنقبية.

٥ - ما زال التراث الرشدي في حاجة إلى تحقيق جديد، يقوم نصوصه، ويكشف عن مضامينها بالوسائل المنهجية المقررة في التحقيق.

إن هذا السفر الجديد، مضموما إلى إخوة له أصدرتها المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية من قبل، هو في تقديرنا قيام بحق أمتنا علينا في جانب من الجوانب، وإذ إن القارئ شريكنا في هذه الأمانة فسوف نسعد باستدراكاته واقتراحاته.

والله ولي التوفيق، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

الجزء الثالث

ابن رشد الفيلسوف

تابع الجلسة الثانية

ب - ابن رشد الفيلسوف

الرئيس: الدكتور حامد جامع

المقرر: الدكتور محمود مكي

الرئيس: المحاضرة التالية تتناول جانبا آخر من جوانب ابن رشد، عنوانها: ابن رشد متكلما، يتفضل بها د. حسن الشافعي.

الأستاذ الدكتور حسن الشافعي بدأ في الأزهر وتخرج في كلية أصول الدين في قسم العقيدة والفلسفة، ثم درس في دار العلوم وتخرج فيها، ثم حصل على درجة الماجستير من جامعة القاهرة، وسافر إلى جامعة لندن فحصل على درجة الدكتوراه في الدراسات الإسلامية، وعاد ليعطي، فعمل في قسم الفلسفة الإسلامية في كلية دار العلوم حيث نشأ وتعلم واستمر عطاؤه في هذا القسم حتى صار أستاذا في القسم ورئيسا له، ثم استمر نشاطه إلى المجمع اللغوي فحظي بشرف عضويته، وهو عندنا في مصر شرف كبير لكبار العلماء، ثم بعد ذلك أسس أو اشترك في تأسيس جمعيتين لهما أثر كبير في التربية الجمعية التربوية الإسلامية والجمعية الفلسفية المصرية، ثم أفرز طائفة من الكتب المفيدة تقارب العشرة. ندعو الأستاذ الدكتور حسن الشافعي ليسمعنا ويمتعنا في موضوعه ابن رشد المتكلم.

ابن رشد المتكلم

الدكتور/ حسن الشافعي

ابن رشد المتكلم

دكتور: حسن الشافعي

رئيس قسم الفلسفة بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة

«أما بعد فحمداً لله بجميع محامده، والصلاة والسلام على محمد رسوله، وآله وأصحابه»[١].

فإن الغرض من هذه الصفحات هو الإسهام في تجلية الجانب الإسلامي من فكر ابن رشد، ببيان الدور الذي نهض به - رحمه الله - في إطار هذا العلم، والمنهج الذي سلكه لتحقيق ذلك، وبعض التطبيقات التي أسفرت عنها تلك المحاولة الفكرية المتميزة، التي لا يقتصر أثرها ومغزاها على إطارها المحلي وظروفها التاريخية، بل هي تمثل تطوراً طبيعياً وإيجابياً في مسيرة هذا العلم الذي يدرس «أصول الدين» الإسلامي وأسسه الاعتقادية الشرعية، التي تنبني عليها أحكامه العملية الفقهية، وهما معاً جماع الدين، مما جعله منذ نشأته الأولى جديراً باسم «الفقه الأكبر» أو «أصول الدين»، حتى غلبت عليه تلك التسمية التاريخية الذائعة «علم الكلام»[٢]. وهي المحاولة التي لا تبتعد كثيراً في سماتها وبواعثها، وربما في آثارها أيضاً، عن محاولته الفقهية التي احتواها كتابه «بداية المجتهد ونهاية المقتصد».

وربما كان من المناسب أن نبدأ بلمحة سريعة إلى نشأة ابن رشد وثقافته الدينية، التي هيأت له القيام بهذا الدور الخاص في مجال العلوم الشرعية.

١- نشأة ابن رشد وثقافته:

لقد تيسر لابن رشد من الظروف الخاصة والعامة ما هيأ له أن يصبح فقيها مرموقاً ومتكلماً متمكناً إلى جانب كونه فيلسوفاً بارزاً، وإن كانت هذه الناحية الأخيرة هي التي غلبت عليه، حتى كادت تغطي على دوره المتميز في مجالي الفقه والكلام[٣]:

أ - فقد ولد في بيت علم وفقه وقضاء، وكان كل من أبيه وجده قاضيا لقضاة قرطبة، وكان مولده قبل وفاة جده بأشهر، فلم يتح له أن يتتلمذ له، فتولى أبوه تنشئته، ولكن مؤلفات الجد ومعالم شخصيته الفكرية كانت - فيما يبدو - أكثر تأثيرا فيه. حفظ القرآن وروى عن أبيه «الموطأ» واستظهره عليه[٤]، كما روى عن المازري وابن بشكوال وغيرهما من أصدقاء أبيه، وورث أمجاد الأسرة وشرفها المعنوي «ونشأ بينهم يرعونه رعاية كاملة.. وهم يرون فيه امتدادا لنسلهم.. ويتسلون به عن الجد الفقيه الذي لم تطل حياته بعد ميلاد الولد الجديد»[٥] فكان تحرر الجد من العصبية المذهبية ونفوره من التقليد، ونزوعه إلى التجديد الفقهي، وقوة شخصيته واعتداده بنفسه ورأيه[٦]، هي أبرز الصفات في حفيده الذي خلد الأسرة، ليس على الصعيد المحلي فحسب، بل على مستوى إنساني رحب وموصول.

ب - وانطلق الفتى كأهل عصره يتعلم الأدب والعربية، فحفظ ديواني أبي تمام والمتنبي من الإسلاميين، وجانبا من شعر الجاهليين، مع تذوق مرهف وحس أدبي دقيق، فكان يتمثل بهذا الشعر ويورده أحسن إيراد كما يقول مترجموه. ودرس الفقه وأصوله على أئمة عصره، وأتقن الكلام على أصول الأشاعرة، وتطلع إلى تجديد هذه العلوم بالتأليف فيها على نمط جديد، وشهد له القدامى

والمحدثون بأن «الدراية أغلب عليه من الرواية»، لكن ذلك لا يعني قلة حظه من الرواية، فالحجوى يؤكد أن «له من معرفة الرواية ما يندر في غيره»[٧] وألف في هذه الأفرع من الثقافة العربية والإسلامية: الضروري في العربية، ومختصر المستصفى للغزالي في أصول الفقه، ومناهج الأدلة وغيرها في الكلام، وكان أمراً طبيعياً مع ذلك - وهو القاضي سليل القضاة - أن يؤلف في الفقه «بداية المجتهد ونهاية المقتصد» التي يقول الحجوي إنا «دالة على باع، وكمال اطلاع، على اختصارها. وبدايته نهاية غيره»[٨].

جـ - على أن الفتى كان طلعة ذكيا، دؤوبا مثابراً على التحصيل والتأليف، فاتجه بعد التمكن من العربية والعلوم الإسلامية إلى الدراسات الفلسفية والمنطقية، والعلوم الطبية، حتى «كانت له الإمامة في علوم الأوائل دون أهل عصره، يفزع إليه في الفتوى في الطب كالفقه، مع العربية والأدب..[٩]»، وقد كان هذا الجانب من ثقافته سببا لبروزه وشهرته، بالإضافة إلى صداقة ابن طفيل طبيب الأمير الموحدي أبي يعقوب ومستشاره، الذي عمل على تقديم صديقه ابن رشد للأمير، فاقترح عليه أن يقوم بتلخيص كتب أرسطو، وتذليل صعوباتها، فنهض بذلك في اقتدار وأصالة. ليشتهر بعد ذلك في العالم كله بلقب «الشارح الأكبر»، واختاره الرجل طبيبا خاصا بعد وفاة ابن طفيل، وكذلك فعل المنصور بالله يعقوب أول الأمر.. ثم صار ذلك البروز وتلك الشهرة سببا لأفول نجمه ونكبته، ونفيه وغربته. ومما جرت به المقادير أنه حين راجع الأمير نفسه، واعتزم أن يعيد الرجل الكبير إلى سابق شأنه، لم يمهله الأجل فرجع من منفاه إلى قرطبة مسجى في نعشه، ليدفن مع أسلافه، عام ٥٩٥ للهجرة[١٠]، وإن كان ذكره وفكره قد بقيا

على التاريخ إلى يوم الناس هذا، وذاعا في أرجاء العالم، وفنيت الرسوم الزائلة، والخصومات الباطلة.

٢- المحنة والمشروع الثقافي الرشدي:

وما دمنا قد انتهينا إلى المحنة وظروفها المأساوية، فإننا نعتقد أن التفهم الدقيق لظروفها وعواملها خير من المبالغة في تصوير آثارها وعواقبها، التي قد تعكس شعوراً انفعالياً بالصدمة المستمرة، أو ميلاً مأثوراً للبكاء على الأطلال، فيرى بعضنا في موت ابن رشد موتاً للفكر الإسلامي نفسه[١١]، والفكر لا يموت وإن ضعف أو فتر، والأفكار لا تموت بموت أصحابها، بل تمارس بعدهم حياتها المستقلة، وليس الفكر الرشدي استثناء من ذلك، وإن كان تأثيره لدينا - ولا بد أن نعترف - مضى فاتراً واهناً، لأسباب تعود إلى تراجع الحضارة الإسلامية وفتورها العام بعد سقوط بغداد أو قبل ذلك بقليل.

وعلى كل فإن المؤرخين العقليين يذكرون لمحنته، التي تمثلت في اضطهاده وإحراق كتبه ومطاردة تلاميذه في أخريات عمره أسباباً متنوعة ترجع إلى حاجة الموحدين إلى استرضاء العامة واستجلاب ولائهم، أو إلى خصومة الفقهاء له وحرصهم على استعادة نفوذهم في الدولة، أو إلى تهم يفتريها عليه بعض منافسيه فيدعون إنكاره - وهو قاضي القضاة - لأخبار القرآن الكريم، أو يتسقطها له بعض آخر كوصفه أمير الموحدين بملك البربر، وهي إن صحت تدل على عدم تحفظه وقلة معرفته بأساليب الإطراء والتفخيم التي ما كان له أن يغفلها على كل حال، فلقد كان - رحمه الله - يخاطب الأمير المنصور على عادة العلماء دون تحفظ ويقول له: تسمعني يا أخي[١٢].

ونحن لا ننكر أن هذه الأمور قد أسهمت في حدوث المحنة أو في استثمارها من جانب النظام أو من جانب قوى أخرى مستفيدة، لكن

الذي يهمنا أن نثبته هنا أن المشروع الثقافي الرشدي، وفي نطاق العلوم الشرعية، أعني الفقه والكلام، وليس فقط الركن الثالث لهذا المشروع وهو العمل الفلسفي، هذا المشروع بأركانه الثلاثة هو السبب الأساس فيما نال الرجل على يد أمراء الموحدين من محنة بعد أن أفسحوا له في مجالسهم، وقربوه منهم مع اختلافه الفكري عنهم، حتى ثارت هواجس شكه، وتوقع البلاء قبل نزوله.

بل نكاد نقول: إن الجانب الفلسفي - وإن استغل في خضم الأزمة لاستهواء العامة وتسويغ الضربة، كما يدل المنشور الذي أذيع حينذاك[١٣] - لم يكن هو العامل الفعال، فنحن نعلم جميعاً أن الرجل إنما قام بشرح الفلسفة الأرسطية بتكليف من الأمير الموحدي وإلحاح منه، بعد أن قدمه صديقه ابن طفيل إليه، وأنه شغل منصب الطبيب الخاص لهذا الأمير بعد ابن طفيل، وأن أعماله الفلسفية كانت موضع الرضا والتقدير لأمد طويل، ولكن الذي لم يكن موضع الرضا - فيما أعتقد - هو الجانبان الفقهي والكلامي، إذ لا يلتقيان مع المزاج الفكري للموحدين، وهذا أمر قد يحتاج إلى مزيد بيان.

من المعلوم أن دولة المرابطين أفسحت لفقهاء المالكية مكاناً كبيراً فيها، وناصرت مذهب الإمام مالك في الفروع والأصول، أعني في الفقه والعقيدة، «فلما جاء الموحدون - كما يقول العالم المغربي عبدالله كنون -، وكان إمامهم المهدي بن تومرت صاحب دعوة وزعيم فرقة، وقد لاقى الأمَّرين من معارضة الفقهاء ومناهضتهم له، نهجت دولتهم سياسة أخرى من تقريب مَنْ قَبِلَ دعوتهم، وإبعاد الفقهاء من مراكز المسئولية. ومن ثم صار الفقه الساذج، أكبره وأصغره، لا ينفَقُ لديهم، بل صار يتعرض لمناوأتهم، والتثريب عليه وعلى رجاله، وما

قضية إحراق كتب الفقه المالكي وأمهات دواوينه بخافية عمن له اطلاع على تاريخهم»[١٤] ثم يضيف كنون:

«وقصدنا بالفقه الساذج: الفقه المجرد عن الأدلة.. وبأكبره: علم التوحيد.. وبأصغره: علم الفروع، فإن الموحدين قاموا بالدعوة للمذهب الأشعري في العقائد وروّجوا له، وانتقدوا ما كان عليه المغرب ودولة المرابطين من الأخذ بعقيدة السلف، وسموهم المجسمين وسموا أنفسهم الموحدين فى مقابل ذلك. ثم صاروا يدعون الى الاجتهاد و النظر فى أصول الأحكام من الكتاب والسنة، وينعون على الفقهاء تقليدهم والتزامهم لمذهب مالك، حتى تورطوا في قضية الإحراق لكتب المذهب التي ألمحنا إليها»[١٥].

إن دعوة القوم إلى الاجتهاد في الفروع، وإن تعارضت مع ترويجهم تقليد الأشاعرة في الأصول، لم تكن في حد ذاتها مثيرة أو مستفزة لعلماء الأندلس، وإنما الذي استفزهم حقاً هو الأسلوب التعسفي الذي اتبعوه في إلزام الناس بما يرون، يقول الحافظ أبو بكر ابن الجد: «لما دخلت على أمير المؤمنين أبي يعقوب أول دخلة دخلتها عليه، وجدت بين يديه كتاب ابن يونس، فقال لي: يا أبا بكر، أنا أنظر في هذه الآراء المتشعبة التي أحدثت في دين الله، أرأيت يا أبا بكر المسألة فيها أربعة أقوال، أو خمسة أقوال، أو أكثر من هذا، فأي هذه الأقوال هو الحق؟ وأيها يجب أن يأخذ به المقلد؟ فافتتحت أبين له ما أشكل عليه من ذلك، فقال لي - وقطع كلامي -: يا أبا بكر، ليس إلا هذا - وأشار إلى المصحف - أو هذا - وأشار إلى كتاب سنن أبي داود - وكان عن يمينه، أو السيف»[١٦].

في هذه الظروف، ومع هذا الأمير كان ابن رشد «يشغل منصب القضاء، ويفتي الناس فيما يعرض لهم من النوازل التي لا علاقة لها

بأحكام المنصب، وهو بمقتضى ذلك فقيه مالكي على مذهب أبيه وجده، ومذهب المغاربة والأندلسيين عموماً.. بل إننا نجد ابن رشد يقوم فعلاً بتوضيح ما أشكل على الخليفة في كتاب عظيم النفع، هو كتابه (بداية المجتهد ونهاية المقتصد).. وهكذا أثبت ابن رشد أنه لم يكن ضالعاً مع الموحدين في موقفهم من مذهب الإمام مالك، وأن شخصيته الفقهية كانت فوق المساومة، وأنه.. لم يهب أن يتصدى لرد ما كان الخلفاء الموحدون - ومن على رأيهم - يوردونه على الفقهاء ويطعنون به في المذهب، وشرح ما خفي عليهم من ذلك، والدفاع عن أئمة الدين وعلماء الملة بعلم وتجرد تام»[١٧].

إذا كانت هذه هي طبيعة الموقف الفقهي الذي يمثله كتاب (البداية) فإن الموقف العقدي الذي يمثله كتابه الآخر، لا يقل جرأة، أعني كتاب (الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة، وتعريف ما وقع فيها بحسب التأويل من الشبه المزيغة والبدع المضلة) بإيثاره فيه موقف السلف بوجه عام، ونقده لتأويلات المعتزلة والأشاعرة للصفات وغيرها من أحكام العقيدة، تلك التأويلات التي قد تصل في رأيه إلى حد الشبه المزيغة والبدع المضلة، وهي التأويلات التي يتبناها ويروج لها الموحدون، ويعتبرونها التوحيد الخالص في مقابلة تشبيه المرابطين وتجسيمهم، وتصريحه في أول كلمات كتابه بحمد الله الذي اختص من يشاء بحكمته، ووفقهم لفهم شريعته، واتباع سنته، وأطلعهم من مكنون علمه، ومفهوم وحيه، ومقصد رسالة نبيه إلى خلقه، على ما استبان به عندهم زيغ الزائغين من أهل ملته، وتحريف المبطلين من أمته، وانكشف لهم أن من التأويل ما لم يأذن به الله ورسوله»[١٨].

وأحسب أن هذه المواجهة الفكرية، التي تمت على خطورتها في هدوء حاسم، كانت أكبر من أن يتحملها هؤلاء الذين يحتكمون فيما يتعارض مع مواقفهم الفكرية إلى السيف، فعمدوا إلى نفي الرجل من

موطنه، والإساءة إلى سمعته، وإحراق كتبه، مما يعد وصمة في تاريخهم الذي لا يخلو من الأمجاد والمواقف الكريمة في نصرة إخوانهم المسلمين بالأندلس.

٣- منهج ابن رشد المتكلم:

كانت محاولة ابن رشد النقدية في إطار هذا العلم محاولة منهجية تقوم على أسس واضحة، وتتسم بسمات محددة، وتنتهي إلى نتائج وتطبيقات إيجابية ضمنها كتابه الهام «مناهج الأدلة».

وقد أفرد للأسس المنهجية التي يحسن بالمتكلم اتباعها كتابه الموجز «فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال»، والمقال الذي ألحقه بكتاب المناهج عن «قانون التأويل» بالإضافة إلى مواضع عديدة في كتاب «المناهج» نفسه بالرغم من طابعه التطبيقي.

ومما يؤكد وعي ابن رشد بطبيعة العمل الذي يقوم به، من حيث جانباه المنهجي والتطبيقي، قوله في الصفحة الأولى من كتاب (المناهج): «لما كنا قد بيّنا قبل هذا، في قول أفردناه (يشير إلى فصل المقال) مطابقة الحكمة للشرع، وأمر الشريعة بها، وقلنا هناك إن الشريعة قسمان: ظاهر ومؤول، وأن الظاهر منها هو فرض الجمهور، وأن المؤول هو فرض العلماء، وأما الجمهور ففرضهم فيه حمله على ظاهره وترك تأويله.. فقد رأيت أن أفحص في هذا الكتاب عن الظاهر من العقائد التي قصد الشرع حمل الجمهور عليها، وأتحرى في ذلك مقصد الشارع - صلى الله عليه وسلم - بحسب الجهد والاستطاعة...»[١٩].

وسنعرض فيما يلي بعض الأسس والسمات المنهجية لعمله النقدي في إطار علم الكلام، لنختم في النهاية ببعض النتائج التطبيقية.

أولاً - التوفيق بين الشريعة والحكمة:

اعتمد ابن رشد على فكرة أساسية عنده، وإن شاركه فيها غيره، وهي التوفيق بين الدين الذي يقوم على الوحي وبين الفلسفة التي تقوم على التفكير العقلي البرهاني، محاولا البرهنة على العقائد الإسلامية برهنة علمية تنبثق من آيات القرآن الكريم، وتسلك طريق البرهان لا الجدل فترضي كلا من الدين والفلسفة، وتختلف عن أدلة المتكلمين التي تتسم في رأيه بطابع جدلي يثير من الشكوك أكثر مما يُفيد من الإقناع، لكنه احترس في الوقت نفسه من الوقوع في أخطاء الفلاسفة السابقين عليه الذين اتبعوا منهجاً قريباً من هذا المنهج لكنهم لجأوا إلى إدخال آراء غريبة على الإسلام، مثل الآراء الأفلاطونية المحدثة[٢٠] مثلاً، كما فعل الفارابي وابن سينا، بل لم ينج من ذلك الغزالي في رأيه، إنه لا يقصد بالحكمة هنا إلا منهج البرهان العقلي لا الآراء التي يتبناها المنتسبون إلى هذه الحكمة من مشائين أو غيرهم[٢١].

أما بواعثه هو للبرهنة على العقائد بهذه الطريقة فإنها ترجع - كما أوضح ذلك في كتابه (فصل المقال) وغيره - إلى أمور ثلاثة:

الأول ديني: فقد وجد أن القرآن الكريم يحث على التدبر والتفكر في آيات كثيرة لا تدخل تحت حصر، منها قوله تعالى: **﴿فاعتبروا يا أولي الأبصار﴾** - الحشر: ٢، وقوله تعالى: **﴿أوَلم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء﴾** - الأعراف: ١٨٥، وقوله عز وجل: **﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت﴾** - الغاشية: ١٧، ١٨.

وهو يستدل بهذه الآيات وغيرها على أن الدين «يأمر بالنظر في الأشياء واعتبارها، فالمقصود باعتبار الأشياء هنا هو استخدام طريقة

الاستنباط التي ينتقل فيها الإنسان من قضايا معلومة إلى حقائق مجهولة»[٢٢].

ويضيف ابن رشد «وإذا تقرر أن الشرع قد أوجب النظر بالعقل في الموجودات واعتبارها، وكان الاعتبار ليس شيئاً أكثر من استنباط المجهول من المعلوم واستخراجه منه وهذا هو القياس، فواجب أن نجعل نظرنا في الموجودات بالقياس العقلي، وبيّن أن هذا النحو من النظر الذي دعا إليه الشرع وحث عليه هو أتم أنواع النظر بأتم أنواع القياس، وهو المسمى برهاناً..»[٢٣].

والثاني تاريخي: وذلك أن ابن رشد قد هاله انقسام المسلمين إلى طوائف وفرق، كل منها تؤول النصوص القرآنية حسبما تريد، ورأى أن السبيل لجمع شتاتهم هو البرهنة على العقائد بطريقة بسيطة سهلة، تنأى عن «التأويل» المفتعل، يقبلها كل إنسان مهما كانت درجة ذكائه وثقافته، لا سيما أن الإسلام إنما يقوم على أساس من التوحيد والوحدة «فإن الناس قد اضطربوا في هذا المعنى كل الاضطراب، في هذه الشريعة، حتى حدثت فرق ضالة وأصناف مختلفة، كل واحد منهم يرى أنه على الشريعة الأولى، وأن من خالفه إما مبتدع، وإما كافر مستباح الدم والمال. وهذا كله عدول عن مقصد الشارع، وسببه ما عرض لهم من الضلال عن فهم مقصد الشريعة»[٢٤].

أما الثالث والأخير فهو باعث فلسفي: يعود إلى فكرته المحورية - التي سلفت الإشارة إليها - وتتمثل في اقتناعه بأن حقيقة الشرع هي حقيقة العقل أيضاً، وهذه ناحية قد يشاركه فيها غيره من المتكلمين والحكماء، ولكنه يختلف مع كل من المعتزلة والأشاعرة في المنهج الذي ينبغي اتباعه في التوصل إليها، أي في منهج الاستدلال على عقائد الدين كما سلفت الإشارة، فإنهم في رأيه استخدموا طرقاً جدلية

وخطابية، بينما يستخدم هو الطرق البرهانية التي نبه عليها القرآن الكريم نفسه، ومن ثم فهي ترضي الشرع والعقل معاً[٢٥].

وقد حاول ابن رشد أن يبرر استخدام الاستدلال المنطقي البرهاني في مجال العقيدة فربطه بـ «القياس الفقهي» الذي يستخدم في الاستدلال الفقهي، فالفقيه الذي يدرس نصوص الكتاب والسنة ليتخذها مقدمات لأقيسته الفقهية التي يستنبط بها الأحكام الشرعية العملية مضطر للإلمام بطبيعة الأقيسة وأنواعها وشروطها. والأمر لا يزيد على ذلك فيما يتصل بالنظر العقلي الذي أوجبه الشرع ورسم طريقة الاستدلال به على أمور العقيدة، إذ كيف ندعو إنساناً لاستخدام النظر العقلي ثم نحرم عليه دراسة الأساليب المنطقية التي تعد مقياساً يفرق بين صحة هذا التفكير النظري وفساده؟ إننا لو فعلنا ذلك فلن يكون مسلكنا إلا مناقضة لقواعد التفكير السليم، إذ القياس في الفقه ليس إلا نوعا من القياس العقلي، فكيف يجوز للفقيه أن يبرر مشروعية القياس الفقهي بقوله تعالى: ﴿**فاعتبروا يا أولي الأبصار**﴾ ولا يحق للمفكر في شئون العقيدة أن يستخدم الآية نفسها لاستخدام القياس العقلي في البرهنة على قضاياه[٢٦]؟

ثانياً: ومن سمات هذا المنهج الرشدي نقده المدارس أو الفرق الكلامية التقليدية، وعلى رأسها الأشعرية السائدة في عصره ومعها المعتزلة وهم أصحاب المنهج العقلي، والحشوية وهم أصحاب المنهج النصي، والباطنية وهم أصحاب المنهج الوجداني أو الحدسي، فهم جميعا في نظره معرضون عن الطريق المستقيم الذي سنه الله في كتابه سبيلاً إلى معرفته مستمسكون بتأويلات التزموها واتخذوها أصولاً وحكموها في الدين «كل هذه الطوائف قد اعتقدت في الله اعتقادات مختلفة، وصرفت كثيراً من ألفاظ الشرع عن ظاهرها إلى تأويلات نزلوها على تلك الاعتقادات، وزعموا أنها الشريعة الأولى التي قصد

بالحمل عليها جميع الناس، وأن من زاغ عنها فهو إما كافر وإما مبتدع، وإذا تؤملت جميعها وتؤمل مقصد الشرع ظهر أن جلها أقاويل وتأويلات مبتدعة»[٢٧].

أ - فأما الحشوية أو النصيون الذين يزعمون أنْ لاسبيل للمعرفة بالدين إلا النص، ولا مدخل للعقل في ذلك، فهم مخالفون للنص الذي اتخذوه أصلا، «وذلك أنه يظهر من غير ما آية في كتاب الله - تعالى - أنه دعا الناس فيها إلى التصديق بوجود الباري - سبحانه - بأدلة عقلية منصوص عليها فيها مثل قوله سبحانه: ﴿**يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم..**﴾[٢٨] - البقرة ٢١، ولكنه إذا رفض طريقهم لم يخرجهم من الإيمان ما داموا قد اهتدوا إلى الحق تقليداً، وما داموا عاجزين عن النظر العقلي «ولا يمتنع أن يوجد من الناس من تبلغ به فدامة العقل.. إلى أن لا يفهم شيئاً من الأدلة الشرعية التي نصبها - صلى الله عليه وسلم - للجمهور، وهذا فهو أقل الوجود، فإذا وجد ففرضه الإيمان بالله من جهة السماع»[٢٩].

وهو هنا يؤكد وحدة العقل والنقل، فالشرع كما يقول ابن تيمية من بعد مسائل ودلائل، والحشوية يأخذون بمسائله ويهملون دلائله[٣٠]، وقد قال الغزالي من قبل «إن الشرعيات عقليات والعقليات شرعيات لدى العارفين..»[٣١] وهذا هو الموقف العام للفكر الإسلامي على كل حال[٣٢]، باستثناء هؤلاء الحشوية.

ب - وأما الحدسيون أو الصوفية «فطرقهم في النظر ليست طرقا نظرية، أعني مركبة من مقدمات وأقيسة، وإنما يزعمون أن المعرفة بالله وبغيره من الموجودات شيء يلقى في النفس عند تجريدها من

العوارض الشهوانية. وإقبالها بالفكرة على المطلوب»[٣٣]، لكن هذه الطريقة ليست هي الطريقة القرآنية كما تبين، على أنها لا تصلح لجميع الناس «إن هذه الطريقة - وإن سلمنا وجودها - فإنها ليست عامة للناس بما هم ناس، ولو كانت هذه الطريقة هي المقصودة بالناس لبطلت طريقة النظر. نعم، لسنا ننكر أن تكون إماتة الشهوات شرطاً في صحة النظر، مثلما تكون الصحة شرطاً في ذلك، لا أن إماتة الشهوات هي التي تفيد المعرفة بذاتها.. ومن هذه الجهة دعا الشرع إلى هذه الطريقة وحث عليها في جملتها حثاً، أعني على العمل، لا أنها كافية بنفسها كما يظن القوم، بل إن كانت نافعة فعلى الوجه الذي قلنا، وهذا بين عند من أنصف واعتبر الأمر بنفسه»[٣٤] وهذا الموقف المتسامح المنصف حقاً يلتقي مع الموقف العام للمفكرين المسلمين إلا من انحاز منهم إلى الصوفية فإن الرؤى والإلهامات وإن أفادت الاطمئنان واليقين الشخصي ليست من مصادر الأحكام الشرعية[٣٥].

جـ - وأما الأشاعرة فإنه يفيض في مناقشتهم ونقد أساليبهم في الاستدلال على العقائد الدينية بل يكاد يكون كتاب المناهج نقداً تفصيلياً للمواقف الأشعرية، لكن نقده هذا يشمل المعتزلة وسائر المتكلمين المتأخرين، وإن كان الرجل - لإنصافه ودقته يقول: «وأما المعتزلة فإنه لم يصل إلينا في هذه الجزيرة من كتبهم شيء نقف منه على طرقهم التي سلكوها في هذا المعنى، ويشبه أن تكون طرقهم من جنس طرق الأشعرية»[٣٦] وهذه العبارة الأخيرة دقيقة فالمنهج الكلامي لدى متأخري الأشاعرة لا يكاد يختلف عنه عند المعتزلة، وهي هامة أيضاً لأن بعض الباحثين ربما صور ابن رشد موافقاً للمعتزلة في مواجهة الأشاعرة[٣٧]، وهذا ما لا تدل عليه النصوص الرشدية.

وعلى كل حال فإن ابن رشد تتبع طرق الأشاعرة في الاستدلال على وجود الله - تعالى - ووحدانيته وسائر القضايا الكلامية، في دراسة نقدية تفصيلية، رامياً إياهم - في مناهج الأدلة - بالجدل المعقد أحياناً، وبالروح الخطابية أحياناً، وبعدم الفهم الدقيق للأدلة القرآنية أحياناً أخرى[٣٨]، وبخاصة استدلالهم على الوجود الإلهي بدليلي الجوهر الفرد، والإمكان، وعلى الوحدانية بدليل التمانع، مبيناً ما فيها جميعاً من نقاط الضعف ومثارات الشك والبعد عن طريقة القرآن الكريم، وهو يلمح إلى ذلك أيضا في (فصل المقال)[٣٩]، وفي الضميمة التي ألحقها بهذا الكتاب الأخير خاصة (بالعلم الإلهي)[٤٠].

وما دمنا نقصر كلامنا هنا على الناحية المنهجية فلا موجب لتتبع هذه الانتقادات الرشدية التفصيلية لأدلة الأشاعرة والمعتزلة، التي يمكن الرجوع إليها في مواطنها، والتي يعترف بعض شيوخ الأشاعرة المتأخرين بها[٤١]، أو ببعض منها.

ولنقل هنا في وضوح: إن النقد الرشدي جاء في حينه، وإن المناهج الكلامية التقليدية في عصره كانت قد أخذت تبتعد عن القرآن الكريم والأدلة النصية بوجه عام؛ بتأثير اعتزالي غلب على متأخري الأشاعرة، حتى قرر الرازي أن الدليل النصي لا يفيد اليقين لأسباب عشرة، منها احتمال قيام معارض عقلي له[٤٢]، مما عده ابن تيمية صداً عن سبيل الله واضطر أن يؤلف ضده كتاباً من أهم كتبه وهو (درء تعارض العقل والنقل)[٤٣] ولذا فربما كان من المناسب أن نتعرض لتلك الفكرة الاعتزالية التي أحدثت هذا التأثير السلبي وهي المعروفة بفكرة «الدور»:

كان الفكر الكلامي منذ القرن الخامس الهجري واقعاً تحت تأثير الفكرة الاعتزالية التي تسربت إلى مدارس عدة وبخاصة الأشعرية، وهي الفكرة القائلة بأن العقل أصل للنقل، فلا ينبغي الاعتماد على الدليل النقلي في أية مسألة من مسائل العقيدة المتعلقة بوجود الله تعالى أو صفاته أو بما تتوقف عليه صحة النبوة وإلا كان ذلك تقديماً للفرع على أصله وهو دور باطل. وقد ولدت هذه الفكرة فكرة أخرى هي أنه عند قيام تعارض بين الدليلين النقلي والعقلي - أو حتى عند احتمال قيام هذا التعارض - يجب اعتماد الدليل العقلي دون النقلي هرباً من الدور الفاسد كذلك. وقد حصرت الفكرة الأولى مجال الأدلة النقلية فيما يعرف بالسمعيات تقريباً، وكادت تذهب الفكرة الثانية بحجية الدليل النقلي في مسائل الاعتقاد كلها دون تمييز.

وقد نشأت فكرة «الدور» هذه في الوسط الاعتزالي، ونجدها بأسسها ونتائجها مفصلة فيما بين أيدينا من كتب القاضي عبدالجبار وأبي الحسين البصري[٤٤]، ثم انتقلت إلى غيرهم. وخصوصاً إلى الأشاعرة ربما على يد الجويني[٤٥]، وجاء تلميذه الغزالي ليتبنى الفكرة أيضاً في مرحلته الأولى، يقول في «الاقتصاد»: «إن ما لا يعلم بالضرورة ينقسم إلى ما يعلم بدليل العقل دون الشرع، وإلى ما يعلم بالشرع دون العقل، وإلى ما يعلم بهما».

والواقع أن فكرة الدور هذه تهويل لا طائل وراءه، فيمكن للمرء أن يبدأ بإثبات النبوة عن طريق النظر في المعجزة فإذا ثبتت عنده تقبل كل ما يأتيه عن النبي ولا دور ولا تناقض، وهذا طريق أكثر الخلق كما أوضح الغزالي في كلامه عن «حقيقة النبوة» في المنقذ[٤٦]. على أن القرآن لم يقدم للناس العقائد، قضايا مجردة عن الدليل يجب اعتناقها

بسلطة النص المقدس أو الأوامر الإلهية فحسب، بل هي دائماً قضايا مشفوعة ببراهينها العقلية التي لا يمكن أن يحط من قيمتها ورودها في هذا النص الإلـهي، وإلا فما يسمى أدلة عقلية هو منقول أيضاً عن مفكرين سابقين كالدليل الأنطولوجي، ودليل الإحكام أو الغائية، ودليل الإمكان وغيرها.. وهذا ما فطن إليه الإمام الغزالي وكرره في كتبه المتأخرة من أن الشرعيات عقليات والعقليات شرعيات لدى العارفين كما أسلفنا. وغرض كتابه (القسطاس) إنما هو بيان الأدلة العقلية الواردة في القرآن بموادها وصورها، فأين هذا التمييز الحاسم إذن بين ما هو نقلي وعقلي؟ فالمغزى الأساسي لعمل ابن رشد من الناحية المنهجية إنما هو إعادة الاعتبار للأدلة الشرعية، وإبراز اتفاقها مع البراهين العقلية.

ثالثاً : وآخر ما نتعرض له هنا من أسس هذا المنهج الرشدي، هو مسألة التأويل، فإن ابن رشد، وإن عارض غلو التأويلات الباطنية والكلامية، يرى ضرورة التأويل أحياناً ولكن طبقاً لقانون يحكمه، ويفرد لذلك مقالة ألحقها بكتابه (مناهج الأدلة)[٤٧] يزيدها إيضاحاً (فصل المقال)[٤٨].

فالأصل المتفق عليه «أننا معشر المسلمين نعلم على القطع أنه لا يؤدي النظر البرهاني إلى مخالفة ما ورد به الشرع، فإن الحق لا يضاد الحق بل يوافقه ويشهد له»[٤٩] فهذا هو الأصل المجمع عليه بين المسلمين والذي بنى عليه ابن تيمية كتابه (درء تعارض العقل والنقل أو موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول) فإذا صرح الشرع بشيء «فلا يخلو ظاهر النطق أن يكون موافقا لما أدى إليه البرهان فيه أو مخالفا، فإن كان موافقاً فلا قول هناك، وإن كان مخالفاً طلب تأويله، ومعنى

التأويل هو إخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية إلى الدلالات المجازية»[٥٠].

ولكن إذا تعين التأويل طريقاً فما القواعد التي تحكمه؟ هنا نجد ابن رشد أكثر وضوحاً في (فصل المقال) عنه في (خاتمة المناهج) بحكم الإيجاز الشديد في هذا المقال الأخير:

أ - أولى القواعد اتباع قوانين العربية في أساليبها ودلالاتها «نحن نقطع قطعا أن كل ما أدى إليه البرهان، وخالفه ظاهر الشرع، أن ذلك الظاهر يقبل التأويل على قانون التأويل العربي»[٥١]. . وفي موضع آخر يشترط لصرف اللفظ عن ظاهره ألا يخل ذلك «بعادة لسان العرب في التجوز، من تسمية الشيء بشبيهه، أو سببه، أو لاحقه، أو مقارنه، أو غير ذلك من الأشياء التي عودت في تعريف أصناف الكلام المجازي»[٥٢]. وهذا شرط هام جدا، فكثير من التأويلات الزائفة يرجع إلى عدم المعرفة بالعربية لسان الوحي، وأساليبها في تصريف وجوه القول وطرق البيان.

ب - ومنها جمع الأدلة الشرعية المتصلة بموضوع واحد، والنظر فيها جميعا في ضوء المبدأ السابق وفي ضوء جملة أحكام الشرع ومبادئه العامة، حتى يتبين غرض الشارع ومدلول الكلام فيما بين أيدينا من نص منقول، وفي ذلك يقول ابن رشد: «إنه ما من منطوق به في الشرع، إلا إذا اعتبر الشرع، وتصفحت سائر أجزائه، وجد في ألفاظ الشرع ما يشهد بظاهره لذلك التأويل، أو يقارب أن يشهد، ولهذا المعنى أجمع المسلمون على أنه ليس يجب أن تحمل ألفاظ الشرع كلها على ظاهرها، ولا أن تخرج كلها من ظاهرها بالتأويل، واختلفوا في المؤول منها وغير المؤول،

فالأشعريون مثلا يتأولون آية الاستواء، وحديث النزول. والحنابلة تحمل ذلك على ظاهره، والسبب في ورود الظواهر المتعارضة فيه هو تنبيه الراسخين في العلم على التأويل الجامع بينهما»[٥٣].

جـ - والعبارات الأخيرة من النص السابق تدلنا على قاعدة أخرى، وهي ألا يقوم بالتأويل إلا الراسخون في العلم، فمن النصوص - كما يصرح في «مناهج الأدلة» ما لا يقبل التأويل[٥٤] ومن الناس من لا يجوز له الإقدام على التأويل، أما المؤهلون لذلك من أهل العلم والتحقيق فهم إن أصابوا أجروا وإن أخطأوا عذروا «اذا كان من شروط التكليف الاختيار، فالمصدق بالخطأ من قبل شبهة عرضت له إذا كان من أهل العلم معذور، ولذلك قال - عليه السلام: إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر.. وهؤلاء الحكام هم العلماء الذين خصهم الله بالتأويل، وهذا الخطأ المصفوح عنه في الشرع إنما هو الخطأ الذي يقع من العلماء إذا نظروا في الأشياء العويصة التي كلفهم الشرع بالنظر فيها. وأما الخطأ الذي يقع من غير هذا الصنف من الناس فهو إثم محض»[٥٥].

وهذه القاعدة تتصل بقضايا هامة أخرى عند ابن رشد المتكلم نذكرها على أهميتها في إيجاز شديد:

أولاها مراتب الناس في المعرفة: وقد بينا آنفاً تقسيمه الناس إلى جمهور وراسخين في العلم، وهو في فاتحة (مناهج الأدلة) يقسمهم أيضاً إلى عامة وعلماء، وربما زاد في مواطن أخرى صنفا ثالثاً بينهما هم المشتغلون بالعلم ممن لم يصلوا إلى مستوى الرسوخ فيه، وكل

واحد من هذه الأصناف يناسبه في المعرفة بالحق طريق خاص من طرق الاستدلال لا ينبغي أن يسلك به غيرها.

والثانية: أنه وإن كان يؤمن بوحدة الحقيقة في ذاتها - كما يقرر ذلك دارسون له من مشارب مختلفة[٥٦]، وإن خالفهم آخرون[٥٧] - فإنه يسلم بأن طرق الناس في اكتشاف الحقيقة أو معرفتها متباينة، وأساليب التعبير عنها تتفاوت أيضا بتفاوت طبقات الناس وفئاتهم وظروفهم المختلفة، ولذا جاءت الشريعة بأصول واضحة تؤدي إليها أدلة متاحة ممكنة لكل أصناف البشر «وهذا مثل الإقرار بالله - تبارك وتعالى - وبالنبوات، وبالسعادة الأخروية والشقاء الأخروي.. هذه الأصول الثلاثة تؤدي إليها اصناف الدلائل الثلاثة التي لا يعرى أحد من الناس عن وقوع التصديق له من قبلها بالذي كلف معرفته، أعني من الدلائل الخطابية والجدلية والبرهانية..»[٥٨] وهو يعتقد أن أكثر الناس من العوام، ويناسبهم الأدلة الخطابية وتكفيهم في معرفة الحق الواجب معرفته. وأن أقلهم هم الراسخون في العلم وأدلتهم برهانية قدر الاستطاعة. أما الجدليون فهم المتكلمون في رأيه وأنصاف المتعلمين ويناسبهم الأدلة الجدلية حديث فقدوا الفطرة الساذجة، ولم يحصلوا العلم الحقيقي القائم على البرهان[٥٩].

ويقرر ابن رشد في ختام «مناهج الأدلة» أنه «لما تسلط على التأويل في هذه الشريعة من لم تتميز له هذه المواضع، ولا تميز له الصنف من الناس الذي يجوز التأويل في حقهم، اضطرب الأمر فيها، وحدث فيها فرق متباينة يكفر بعضهم بعضا، وهذا جهل بمقصد الشرع وتعد عليه»[٦٠].

والأخيرة: أن مناهج الأدلة - وهو كتابه الكلامي الرئيس، فالتهافت مزيج من الكلام والفلسفة - وإن كان يهدف إلى حماية العامة

والجمهور من تأويلات كلامية لا تناسبهم، هو موجه إلى العلماء، ولا يخلو من التصريح بتأويلات وحل إشكالات، وإزالة تعارضات لا تليق بحال الجمهور ولعله قصد أن يتولى أهل العلم والبرهان من قرائه توجيه غيرهم من عوام المسلمين، وحمايتهم من آفات الكلام البدعي في رأيه[٦١].

٤- نماذج من التطبيقات:

حاول ابن رشد في مناهج الأدلة إلى جانب نقده المتكلمين في مناهجهم ومواقفهم، أن يقدم ما يرتضيه طريقا إلى معرفة الأحكام الشرعية الاعتقادية على نحو يرضي الشرع والعلم والفلسفة، وربما كان من المناسب أن نختم هذا البحث ببعض نماذج تلك المحاولة:

أ- البرهنة على وجود الله:

يرى ابن رشد - بعد نقده لأدلة المتكلمين المعروفة كدليل الإمكان ودليل الجوهر الفرد - أن الأدلة، التي وردت في القرآن الكريم والتي تتفق مع النظر العقلي السليم والتي ترضى أيضا كافة العقول على اختلاف درجاتها، تتمثل فيما يمكن تسميته بدليل العنادية أو الغائية ودليل الاختراع أو السببية:

أما الأول: فيقوم على الفكرة الواضحة التالية: أن الكون بكل ما يحويه من ظواهر يرشد إلى أنه صيغ بطريقة خاصة تلائم حياة الإنسان وتعين على ازدهارها، ومثل هذه الملاءمة لا يمكن أن تكون وليدة الصدفة، بل الأقرب الى التفكير السليم - وإلى العلم أيضا - أن يتمثل ذلك كله سلفاً في تدبير مسبق وعلم وحكمة كاملين. أي أنها تدل على خالق عليم حكيم ذي عناية بخلقه. والحق أن هذه العناية بالخلق

والإنسان خاصة لا تتبدى فقط في دورة الليل والنهار والشمس والقمر والنظام الكلي للطبيعة، بل في تركيب جسم الإنسان نفسه وملكاته المختلفة التي تناسب هذه البيئة الطبيعية من ناحية وما كلف به الإنسان من إقامة الحق والعدل وعمارة الأرض وبناء الحضارة من ناحية أخرى.

أليس هذا هو ما يهدي إليه النظر الفطري السليم مؤيدا بأكثر اتجاهات العلم التجريبي؟ وهو نفسه ما يهدي إليه الكتاب الكريم في مثل قوله تعالى: **﴿ألم نجعل الأرض مهاداً، والجبال أوتاداً، وخلقناكم أزواجاً.. وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجاً لنخرج به حباً ونباتا وجنات ألفافا﴾** - النبأ ٦-١٦، وقوله: **﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد﴾** - فصلت ٥٢، وهل يطمع الإنسان الباحث عن اليقين في أكثر من شيء يلتقي على تقريره كل من الفلسفة والعلم والدين؟

وأما الدليل الثاني الذي تتوفر فيه نفس الخصائص السابقة - أعني دليل الاختراع - فيؤكده أن الاختراع بيّن من مجرد وجود الحيوان والنبات، أي أن ظاهرة الحياة نفسها التي تطرأ على الكائنات غير العضوية كافية في إثبات فكرة الاختراع، أما الأجرام الفلكية الكبرى فهي بدورها مخترعة، لأنها مسخرة خاضعة في سلوكها لقوانين لا تحيد عنها. وكل مسخر فهو مخلوق مربوب لرب خالق سخره. وإذا تبين حدوث الأشياء جميعا من كائنات حية وغير حية ثبت وجود الخالق - سبحانه - طبقاً للتفكير الفطري، البسيط والتفكير العلمي أيضا، القائم على احترام مبدأ السببية العام[٦٢].

وهو نفسه الدليل الذي يمكن استنباطه دون تعسف من نحو قوله تعالى: **﴿يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون**

الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له﴾ - الحج ٧٣، وقوله سبحانه: **﴿فلينظر الإنسان مما خلق خلق من ماء دافق﴾** الطارق ٥، ٦.

ويؤكد ابن رشد في مناهج الأدلة أن هذين الدليلين - العناية والاختراع - «هما دليلا الشرع. وأما أن الآيات المنبهة على الأدلة المفضية إلى وجود الصانع - سبحانه - في الكتاب العزيز هي منحصرة في هذين الجنسين من الأدلة، فذلك بيّن لمن تأمل الآيات الواردة في الكتاب العزيز في هذا المعنى، وذلك أن الآيات التي في الكتاب العزيز في هذا المعنى إذا تصفحت وجدت على ثلاثة أنواع: إما آيات تتضمن التنبيه على دلالة العناية، وإما آيات تتضمن التنبيه على دلالة الاختراع، وإما آيات تجمع الأمرين من الدلالة جميعا»[٦٣].

ومثال آخر: يدعونا إليه ما قرره بعض الباحثين الغربيين من أن «في مذهب ابن رشد ثلاثة آراء من آراء الزنادقة تجعله مخالفاً لما أثبتته علوم العقائد في الديانات الثلاث الكبرى: أولها قوله بقدم العالم المادي والعقول المحركة له، وثانيها قوله بارتباط حوادث الكون جميعها ارتباط علة بمعلول على وجه ضروري لا يترك مجالا للعناية الإلهية أو للخوارق أو نحوها، وثالثها قوله بفناء جميع الجزئيات وهو قول يجعل خلودها مستحيلا»[٦٤].

وبالرغم من أن هذه الأقوال قد تجاوزها البحث العلمي، وأنها إنما تعبر عن الصورة السائدة لابن رشد بين الأوروبيين أكثر من أي شيء آخر[٦٥]، فإنها قد تجد من يرددها بيننا، أفلم يكف الرجل ما ألصقناه به من تهم في حياته، حتى نضيف إليها تهماً أخرى بعد مماته؟!

من الممكن على كل حال أن نكتفي بالدليلين السابقين في الغائية والاختراع لبيان موقف الرجل من الإيمان بالله عز وجل، ردا على ديبور الذي يخرجه من الملل الثلاث جميعا، ولكنا نضيف بعض البيان:

أ - أما قدم العالم والعقول: فابن رشد ليس من القائلين بالفيض، وهو يراها فكرة ضعيفة أقرب إلى الخرافة منها إلى الحقيقة[٦٦]. وأما العالم فإنه - كما يصرح في «فصل المقال» وغيره - موجود لم يُسبق بمادة، ولا تقدمه زمان، لكنه موجود عن فاعل هو الخالق سبحانه[٦٧].

أما مسألة العلية وطبيعة الارتباط بين الأسباب والمسببات: فللمفكرين المسلمين فيها مذاهب، منها العادة التي قال بها الأشاعرة ومن وافقهم، وتعني أن الترابط بين الأسباب الظاهرية ومسبباتها مطرد دائماً، فيما يتعلق بتجاربنا ونظرتنا إلى الظواهر الكونية، ولكنه ليس ضروريا في ذاته من وجهة النظر العقلية، إذ المؤثر الحقيقي هو الله سبحانه. ومنها التوليد الذي قال به المعتزلة أو بعض منهم. ومنها الإيجاب - أو الضرورة كما عبر ديبور - وهو قول الفلاسفة ومن وافقهم[٦٨].

وابن رشد وإن عارض فكرة العادة الأشعرية في التهافت وغيره[٦٩]، لا يقول بنفي العناية ولا باستحالة المعجزة أو التدخل الإلهي في نظام العالم، بل إنه يصرح بأنه لا تعارض بين ما أجمع عليه المسلمون من أنه لا فاعل إلا الله وبين وجود الأسباب المؤثرة في العالم، إذ هو - سبحانه - مخترع الأسباب، وكونها أسبابا مؤثرة إنما هو بخلقه وحفظه - عز وجل[٧٠]. وهو في الحقيقة لا ينفرد بهذا الرأي بل يشاركه إياه العديد من كبار مفكري الإسلام كابن حزم وابن تيمية[٧١]، بل إن بعض الباحثين يرى أن ابن تيمية قد تأثر في هذا بابن رشد[٧٢].

وأما مسألة فناء الجزئيات وهي تهمة سبق أن وجهها رينان وغيره إلى ابن رشد: فابن رشد يثبت في نصوص صريحة البعث والمعاد للنفوس الجزئية، وأن العقل يفيد إمكان ذلك، والأنبياء في مللهم أخبرونا بحصوله فعلاً في الآخرة، ومنها «ملتنا ملة الإسلام»(٧٣) وهذه آخر كلماته في مناهج الأدلة - رحمه الله.

وبعد:

فإن عمل ابن رشد النقدي بجانبيه النظري والتطبيقي، في ميدان علم الكلام، قد جاء في إبانه، ليس على الصعيد المحلي في جزيرة الأندلس فحسب، بل على صعيد العالم الإسلامي كله، بعد أن أخذت مناهج علم الكلام حينئذ، وممارساته التقليدية تدخل في دور مدرسي جامد، وصيغ شكلية متزمتة، فنفخ فيها - بحكم ثقافته المتميزة، وحسه النقدي - روحا جديدة مضمخة بهدي القرآن الكريم، وأرجو أن يسمح لي أن أختم هذه الورقة بكلمات ختمت بها بحثا لي في مناهج البحث في علم الكلام منذ سنوات: «أود في النهاية أن أنوه بصفة خاصة بنقد الإمام الغزالي وهو مفكر صوفي، وابن تيمية وهو شيخ سلفي، وابن رشد وهو فيلسوف عقلي - لهذا الموقف المنهجي، ودعوتهم إلى العودة للتوازن التقليدي في علم الكلام بين النقل والعقل، وإيثارهم جميعا على اختلاف نزعاتهم للأدلة القرآنية، التي تتفوق في الفعالية والإقناع المنطقي، إلى جانب الحجية الشرعية، على الأدلة الكلامية الرسمية، التي قد تتباهى بصيغها الفنية المعقدة، ولكنها كثيرا ما تسفر - خارج الدوائر الكلامية - عن خواء وعقم بائسين.

فهل من عودة إلى القرآن، لا لكي نلتزم بنصوصه بمجرد التسليم والقبول التقليدي، بل لنسلم العقل لهداياته، فنخرج من إسار الأدلة الشكلية، والتعقيدات الجدلية، إلى أفق جديد يؤذن بازدهار حقيقي للدراسات الكلامية؟»(٧٤).

المراجع والإحالات

(١) فاتحة كتاب «بداية المجتهد ونهاية المقتصد» لابن رشد، ط لاهور «١٩٤٦م» ١/٢.
(٢) انظر حسن محمود الشافعي: المدخل إلى دراسة علم الكلام، نشر وهبة القاهرة ط٢، ص٢٥-٣٢.
(٣) عبدالله كنون: جولات في الفكر الإسلامي، تطوان - المغرب، ١٩٨٠، ص١٠٥-١٠٦.
(٤) الحجوي محمد بن الحسين: الفكر السامي، المكتبة العلمية بالمدينة المنورة، ١٩٧٧م، ٢/٢٢٨.
(٥) المختار بن الطاهر التليلي: ابن رشد وكتابه المقدمات، الدار العربية للكتاب، ليبيا، ١٩٨٨، ص١٠٢.
(٦) انظر ابن رشد: بداية المجتهد ٢/٣٨١.
(٧) الحجوي: مرجع سابق ٢/٢٢٨ وانظر المختار بن الطاهر: مرجع سابق ١٠٣.
(٩) انظر المرجعين السابقين، ومحمود قاسم: ابن رشد وفلسفته الدينية، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٤، ص١٤-٢٠.
(١٠) السابق.
(١١) انظر هادي العلوي: نظرية الحركة الجوهرية، بغداد، ١٩٧١م، ص٢٣.
(١٢) انظر محمود قاسم: ابن رشد وفلسفته الدينية، الأنجلو المصرية، ١٩٦٤، ص٢٣-٣١.
(١٣) السابق ص٢٢.
(١٤) عبدالله كنون: جولات (مرجع سابق) ص١٠٨.
(١٥) السابق.
(١٦) المختار بن الطاهر: ابن رشد (مرجع سابق) ٤٧٣.
(١٧) عبدالله كنون: جولات (مرجع سابق) ١١٩-١١١.
(١٨) ابن رشد: مناهج الأدلة في عقائد الملة، بتحقيق محمود قاسم، الأنجلو المصرية، ط٣، ص١٣٣.
(١٩) السابق.
(٢٠) انظر محمود قاسم: ابن رشد الفيلسوف المفترى عليه، نشر الأنجلو المصرية بالقاهرة ١٩٦٤، ص٤٥.
(٢١) انظر فصل المقال، نشر مكتبة التربية، لبنان، ١٩٨٧م، ص١١-١٣.
(٢٢) فصل المقال ص١٢.
(٢٣) السابق.
(٢٤) مناهج الأدلة ١٣٤.
(٢٥) محمود قاسم: ابن رشد وفلسفته الدينية، ص٥٣.
(٢٦) انظر فصل المقال، ص١٢-١٣.

(٢٧) مناهج الأدلة ١٣٤.
(٢٨) السابق ١٣٥.
(٢٩) السابق ١٣٦.
(٣٠) انظر ابن تيمية درء تعارض العقل والنقل، ط الرياض بتحقيق رشاد سالم، ٧/ ١٤٤، ١٨٦، وحسن الشافعي: المدخل (مرجع سابق) ٤٦-٤٨.
(٣١) انظر حسن الشافعي: الغزالي - المنهج وبعض التطبيقات في «منشورات جامعة محمد الخامس بالرباط» - ندوات رقم ٥ ص١١٨.
(٣٢) حسن الشافعي: المدخل (مرجع سابق) ص١٣٧ وما بعدها.
(٣٣) مناهج الأدلة ١٥٠، وقارن عبدالحليم محمود: الإسلام والعقل، ط أولى القاهرة، ص ٨-٢٠.
(٣٤) مناهج الأدلة ١٥٠، وقارن عاطف العراقي: المنهج النقدي عند ابن رشد، دار المعارف بمصر، ط٢، ١٩٨٤م ٢٥٩-٢٦٤.
(٣٥) انظر التفتازاني: شرح العقائد النسفية، الحلبي بمصر، ص٢٤، وحسن الشافعي: لمحات من الفكر الكلامي، دار الثقافة العربية بالقاهرة، ١٩٩٣م، ص١٢، ١٣.
(٣٦) مناهج الأدلة ١٥٠-١٥١.
(٣٧) انظر محمود قاسم: مقدمة مناهج الأدلة ١٤٠-١٤٧.
(٣٨) مناهج الأدلة ١٣٦-١٥٠.
(٣٩) فصل المقال ص٣٦-٣٨.
(٤٠) السابق ٤٠-٤٢.
(٤١) حسن الشافعي: لمحات من الفكر الكلامي ٧-١٣.
(٤٢) انظر الرازي: محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين، ط القاهرة ١٣٢٣هـ، ص٣١.
(٤٣) ابن تيمية - أحمد بن عبدالحليم: درء تعارض العقل والنقل، ط الرياض، بتحقيق رشاد سالم، ١/ ٥٠ وما بعدها، ومجموع الفتاوى ٥/ ٢٤٦.
(٤٤) انظر عبدالجبار: المغنى، ط أولى ١٥/ ٢٦-٢٩ وأبو الحسين البصري: المعتمد في أصول الفقه، ط أولى، دمشق، ٢/ ٦٨٦-٦٨٧.
(٤٥) انظر فوقية حسين: الجويني إمام الحرمين، سلسلة أعلام العرب بالقاهرة، ص١٤٤.
(٤٦) انظر الغزالي، المنقذ من الضلال بتحقيق عبدالحليم محمود، ط٣ القاهرة، ص٧٠.
(٤٧) انظر مناهج الأدلة بتحقيق محمود قاسم ص٢٤٩ وما بعدها.
(٤٨) انظر ص١٧ وما بعدها.
(٤٩) فصل المقال ١٧.
(٥٠) السابق ١٨ وقارن محمد عمارة: المادية والمثالية في فلسفة ابن رشد ١٨.

(٥١) فصل المقال ١٨.
(٥٢) السابق.
(٥٣) السابق ١٨-١٩.
(٥٤) انظر مناهج الأدلة ٢٥١-٢٥٢.
(٥٥) فصل المقال ٢٤-٢٥.
(٥٦) انظر محمد عمارة: المادية والمثالية ٢٠-٣٠، زينب الخضري: أثر ابن رشد في فلسفة العصور الوسطى، ط القاهرة ١٩٨٣م، ١٩٥.
(٥٧) انظر مثلا ديبور: تاريخ الفلسفة في الإسلام، ترجمة أبو ريدة، ط القاهرة سنة ١٩٣٨م، ٢٥٩.
(٥٨) فصل المقال ٢٦.
(٥٩) محمد عمارة: المادية والمثالية ١٨-١٩.
(٦٠) مناهج الأدلة ٢٥٢.
(٦١) انظر محمد عمارة: المادية والمثالية ٢٠-٢١.
(٦٢) انظر ابن رشد: مناهج الأدلة ١٥٠-١٥١، محمود قاسم: ابن رشد وفلسفته الدينية ٨٠-٨٦.
(٦٣) مناهج الأدلة ١٥٣.
(٦٤) ديبور: تاريخ الفلسفة ٢٦٣-٢٦٤.
(٦٥) انظر محمود قاسم: ابن رشد وفلسفته الدينية ١٢٠ وما بعدها، وانظر الكتاب الصادر عن المجلس الأعلى للثقافة بمصر عن (ابن رشد مفكراً عربياً..) ١٩٩٣، ص٤١ وما بعدها، وأعمال ندوة (ابن رشد ومدرسته في الغرب الإسلامي) عن جامعة محمد الخامس بالرباط، ١٩٨١، ص٧ وما بعدها.
(٦٦) انظر محمود قاسم: نظرية المعرفة عند ابن رشد، ط أولى، القاهرة ١١٠، ١٦٨-١٧٠.
(٦٧) فصل المقال ٢٣، ومناهج الأدلة ١٣٨-١٤١.
(٦٨) انظر حسن الشافعي: لمحات ٢٦٥-٢٧٠.
(٦٩) انظر عاطف العراقي: المنهج النقدي ١٧٢-١٨٣.
(٧٠) مناهج الأدلة ٢٣١-٢٣٢.
(٧١) انظر ابن حزم: الفصل، المطبعة الأدبية بمصر ١٣١٧هـ، ١/٢١٨-٢١٩، وابن تيمية: منهاج السنة، المطبعة الأميرية ببولاق ١٣٢١هـ ٢/٤٦.
(٧٢) محمد خليل الهراس: ابن تيمية السلفي، ط أولى مكتبة طنطا، ص١٨٠-١٨٢.
(٧٣) انظر مناهج الأدلة ٢٤١-٢٤٨، وقارن محمود قاسم: النفس والعقل، ط القاهرة سنة ١٩٦٤، ص٧٣.
(٧٤) حسن الشافعي: المدخل ١٧١.

رئيس الجلسة: شكرا للأستاذ الدكتور حسن الشافعى على هذا العرض القيم، ونفتح الباب الآن للمناقشات.

المناقشات

د. **محمد بن شريفة**: الشكر الجزيل على هذا العرض القيم الممتاز الذي قدمه هذا العالم الجليل المؤمن المتواضع. عندي بعض نقاط، تتعلق أولاها بالعنوان: ابن رشد المتكلم. لعل ما عرضته يوضح أنه ناقد لعلم الكلام وليس متكلما. وتتعلق الثانية بعلم الكلام في عصر الموحدين، وتطور مسار ابن رشد في هذا العلم. لقد كان لعلم الكلام نهضة كبيرة في عصر الموحدين على عكس ما هو شائع، فقد شهد عصرهم مؤلفات كثيرة في علم الكلام. وابن رشد في بداياته - كما يقول الدكتور حسن الشافعي - بدأ شارحا ومتأثرا بعلم الكلام، إلا أنه في آخر حياته كان خصما لدودا للمتكلمين من معاصريه، ولعل خصومته للمتكلمين ساهمت أيضا في محنته. وهناك اثنان من ألد خصومه، أولهما أبو عامر الأشعري، الذي ذكر الرعيني في ترجمته أنه صاحب كتاب «تحقيق الأدلة في عقائد الملة ودفع الشبه المضلة والأقوال المضمحلة بالحكمة البالغة والحجة الدامغة» الذي يرد فيه على كتاب «مناهج الأدلة»، وذكر له كتباً أخرى كلها في الرد على ابن رشد منها كتاب «تحرير البرهان الجليل في إبطال العقل الطبيعي»، وكتاب «الرد على من زعم أن العالم لا يقال فيه لا قديم ولا محدث» ورسالة «النجم الثاقب في استحالة تغير الواجب»... إلى آخره. أما الشخص الثاني فهو عالم مغربي لم يشر إليه أحد ممن تحدثوا عن محنة ابن رشد، هذا العالم هو عبدالرحمن بن محمد الرجراجي من قبيلة رجراجة في جنوب المغرب، قيل في ترجمته: دخل الأندلس وسكن قرطبة، وكان شيخا صالحا متحققا في علم الكلام متعسفا شديدا في أحكامه، وجرى بينه وبين القاضي أبي الوليد ابن رشد ما جر نكبته المشهورة ونكبة أصحابه. الذي قصدت أن أشير إليه هو أن نقد ابن رشد للمتكلمين ولعلم الكلام جر عليه نقمة خصومه، وكان بالتأكيد من أسباب محنته لأن هؤلاء كانوا يكونون قوة، فنحن نعرف أن الإسلام

بالمغرب يتكون من أمرين: المالكية في المذهب، والأشعرية في العقيدة. وقد كان هؤلاء الأشاعرة أقوياء. وأريد أن أقول أن مسألة علم الكلام في الأندلس مسألة لم تدرس بعد بكيفية مفصلة.

الدكتور حسن الشافعي:

هناك مواطن اتفاق بين ما قلت وما تفضل به الدكتور محمد بن شريفة. ولكن بالنسبة لكون كلام ابن رشد نقدا لعلم الكلام وليس بالكلام، فأحب أن أنبه إلى أن الأمر هنا أمر مشروع كامل، له أسسه المنهجية، وله تطبيقاته. لقد تجاوز ابن رشد نقد الكلام ونقضه إلى نقد رأي المتكلمين الأشاعرة، وابن رشد في جانب الفقه والكلام معا، لا يتجه ببداية المجتهد أو مناهج الأدلة إلى العامة، إنما يتجه بالخطاب إلى العلماء، يقدم في بداية المجتهد أصول الاجتهاد الفقهي، وفي مناهج الأدلة أسس الاجتهاد الكلامي، فكأنه يقول على مريد الاجتهاد في هذين العلمين أن يلتزم هذه الأصول. وهكذا نجد أن ما قاله ابن رشد ليس مجرد وجهات نظر، إنما هو بناء متكامل، يجعلني أقول باطمئنان أن ابن رشد متكلم بكل ما يعنيه هذا الوصف.

ولسنا نختلف أبدا في ضرورة الاعتماد على المصادر لتصوير رأي المفكر أو الفيلسوف، ولكن: هل نعتمد ما قاله في بدايات حياته؟ أو نعتمد ما قاله في ظل ظروف سياسية معينة؟ أو نعتمد شروحه؟

إننا نعلم أن الشارح غالبا يجري في ظل النص الأصلي، النص المشروح، وإن كان أحيانا يبدي آراء شخصية... هذا هو منهج الشروح الذي جعلهم يعدون الرازي جارحا لا شارحا... وإذا كان الأمر كذلك فنحن نستأنس بالشروح حين نصور فكر الشارح، ولكن هذه الشروح لا يمكن أن تصور فكره.

وأما السبب الأصيل في محنة ابن رشد - من وجهة نظري - فليس إنتاجا فلسفيا، أو مؤلفا طبيا، إنما السبب موقفه من الفقهاء في عصره، ثم موقفه من المتكلمين أكثر وأكثر.

وأحب أن أعترف أننا في المشرق - أو أنني خاصة - تفوتني كثير جدا من التفاصيل المتعلقة بالأندلس خصوصا «بالمغرب عموما» ولهذا أثره في دراستنا ولا ريب.

د. محمد عمارة:

أنا لن أطيل، في كلمات قصيرة أولا أهنىء الدكتور حسن على هذا البحث. لدي تساؤلات حول محنة ابن رشد، نحن وكل الذين كتبوا عن ابن رشد يتحدثون عن محنته وعن حرق كتبه إلى آخره، وحقيقة تستغل محنة ابن رشد، بينما محن مرت بكثير من علمائنا من مختلف الاتجاهات الفكرية، يصورون أحيانا محنة ابن رشد أنها محنة الفكر في حضارتنا الإسلامية ومحنة العقل والعقلانية. السلفي ابن تيمية مات في سجن المماليك، ضرب أحمد بن حنبل، كذلك الشافعي نجا بأعجوبة، المعتزلة نفوا إلى جزيرة دهلك التي هي في أرتيريا الآن. وكلنا قلنا أن كتب ابن رشد أحرقت، هل بالفعل أحرقت؟ كتب ابن رشد سواء كانت تأليفا أو شروحا موجودة سواء ما بقي منها بالعربية أو مكتوب بالعبرية إلى آخره! الأستاذ بن شريفة أشار في بحثه إلى هذه القضية، بودي أن نبحث كم من الزمن استمرت محنة ابن رشد، لأن هذه قضية غير بارزة، أيضا التأكيد على أن التفلسف ليس سببا من أسباب محنة ابن رشد، لأن التفلسف كان مشروع الدولة التي كلفت به ابن رشد، هذا ما يتعلق بالتساؤلات حول المحنة. النقطة الأخيرة هي الفارق بين كتاب مناهج الأدلة وبين كتاب فصل المقال. أنا واحد من الذين كتبوا في مرحلة من المراحل حول أن هذا كتاب للجمهور وأن

هذا كتاب للخاصة، ولكن عندما أعدت قراءة ابن رشد وجدته يقول إن لكل من الكتابين نفس المهمة، ولكن يقول بالنسبة للمناهج هو يخاطب الملتزمين بالشريعة والذين يتوهمون تعارضها مع الحكمة، فيبدأ يعرف أصول الشريعة ليقيم الأدلة على عدم تعارضها مع الحكمة، وفي فصل المقال يخاطب المنتسبين إلى الحكمة المتوهمين تعارضها مع الشريعة، فيبدأ بعرض أصول الحكمة ليقيم الأدلة على عدم تعارضها مع الشريعة، وأنا أشرت في البحث المقدم هنا إلى هذه الحقيقة وأتيت بنصه كاملا حول هذا الموضوع، هذه القراءة الثانية لي في نصوص ابن رشد حلت لي هذا الإشكال الذي سبق وكتبت عنه ما يخالف هذه الحقيقة وشكرا.

رئيس الجلسة: شكرا للدكتور محمد عمارة، ونحن في انتظار إجابة الدكتور حسن وبحكم الجوار أرجو أن يختصر.

د. حسن الشافعي:

أود أن أقول بشأن التساؤلات التي لا أملك حسمها هذه مسئولية المتعمقين في الدرس الأندلسي والمغاربي. لكن في جو الحريق لا بد أن يحدث الحريق، كانت تحرق كتب الفقه، وجميع كتب التراث الإسلامي ويقص منها الآيات والأحاديث. وأعطيك شاهدا آخر أن بعض كتب ابن رشد مفقودة تماما في العربية وموجودة فقط في العبرية، مثل كتاب تلخيص جمهورية أفلاطون فلا يوجد قط في عناصر علمنا الآن في نص عربي، لكنه موجود مترجم إلى العبرية أكثر من مرة، ثم تصل إلى الانجليزية مرتين في سنوات الثلاثينات والسبعينات من هذا القرن فوجود بعض الكتب لابن رشد مختفية تماما في العربية لا يفسر إلا إذا أخذت صورة الحريق في الحسبان، وقد حدث مرارا بالنسبة للتراث الفقهي وهو أقدس من كتب ابن رشد. وفيما يتعلق بالفارق بين

مناهج الأدلة وفصل المقال أحب أن أقول إن في كتاب مناهج الأدلة ما ينص على أنه موجه إلى الطرفين وشكرا.

رئيس الجلسة: شكرا. ونستأذن الإدارة في أن تفسح المجال للدكتور مكي، والمنصة تتعصب وعندها شيء من التعاطف، ونحن نتعاطف مع د. مكي.

الدكتور محمود مكي:

الواقع أنني تتبعت مسألة إحراق الكتب في الأندلس وهي في حالات قليلة، أولها حالة كتب ابن مسرة، ومع ذلك فقد وصلت إلينا رسالتان لابن مسرة هما أساس فكره، بعد ذلك المنصور بن أبي عامر الذي أحرق كتب الفلسفة، وكان يشتغل بها سرا، مع ذلك فإن هذه الكتب قد وصلت إلينا أيضا، بعد ذلك أحرق كتب ابن حزم ومع ذلك فإن إنتاج ابن حزم كله قد وصل إلينا، وقد قال ابن حزم بيتا من قصيدة:

فإن تحرقوا القرطاس، لا تحرقوا الذي

تضمنه القرطاس، بل هو في صدري

ومع ذلك فقد وصل إلينا نتاج ابن حزم تقريبا شبه كامل، ولا سيما كتابه الإحكام الذي يهاجم فيه المالكية وهو المذهب الرسمي للدولة، بل وبعض رسائله التي يهاجم فيها ملوك عصره أعنف هجوم ويتهمهم بخيانة قضية الدين والوطن، بعد ذلك نأتي إلى إحراق كتاب الغزالي الذي قام به المرابطون سنة ٥٠٣، ومع ذلك نحن نرى في هذا الخبر أنه قد جمعت نسخ كتاب الأحياء من جميع أنحاء الأندلس وأضرمت فيها النار، مع ذلك كتاب الأحياء كان منتشرا في الأندلس بعد ذلك انتشارا كبيرا، ثم نأتي إلى إحراق كتب ابن رشد وإحراق كتب الفقه قبل ذلك، في كل هذه الحالات أنا أظن أن كل هذه الأخبار

مبالغ فيها تماما، ثم شهادة عبدالواحد المراكشي الذي يستند إليها الجميع شهادة، أنا أعتقد، ينبغي ألّا نوليها كل هذه الأهمية، عبدالواحد المراكشي كتب كتابه في الشرق في مصر، وفي أخبار المغرب عنده أخطاء كثيرة لا عدد لها، مع ذلك فنحن نسلم معه، لأنه يقول أنه رأى إحراق الكتب كتب الفروع، ولكن أنا أعتقد أن هذه كلها كانت مظاهر وأعمالا شبه رمزية ولكنها لا تعني أنهم يستطيعون أن يقضوا على كتب الفروع وهي منتشرة في أنحاء الأندلس كلها، إنه فقط عمل رمزي يدل على سخط الدولة على هذه الكتب. مثل هذا أيضا يقال عن إحراق كتب ابن رشد، وأنا أظن أن هذا الإحراق لم يحدث أصلا، فكتب ابن رشد وصلت إلينا كما ذكر، أما اختفاء بعض الكتب كما ذكره د. حسن الشافعي فهذا أمر طبيعي في كتب كثيرة لم تحرق ولم تتعرض إلى أي اضطهاد، حتى مسألة نفي ابن رشد أنا أعتقد أنها كانت شيئا للتقرب، كما فعل المنصور بن أبي عامر من قبل للتقرب إلى العامة، وأن هذه المحنة ربما في تصوري أنها كانت شيئا بالاتفاق مع ابن رشد لأسباب سياسية، كان نوعا من التمويه حتى يرضى العامة، نفاه فترة بسيطة جدا لم يتعرض فيها لا لسجن ولا إلى إهانة، ثم عاد بعد ذلك إلى حظوته من المنصور. في بعض الأحيان يلجأ الساسة إلى مثل ذلك، كما رأينا أن المنصور يشتغل بالفلسفة سرا، ويحرق كتب الفلسفة حتى يبقي صورته أمام الجماهير، أعتقد أن إحراق الكتب كان دائما وسيلة إلى نشر الكتب على أوسع نطاق كما يحدث الآن في مصادرة بعض الكتب التي تؤدي مصادرتها إلى أن تنتشر انتشار الحريق. وشكرا.

* * *

تابع
الجزء الثالث
ابن رشد الفيلسوف

وبالله
شدالثنا وبجعا
نفهسليفا باش زبا

الجلسة الأولى

تابع ابن رشد الفيلسوف

الرئيس: الدكتور عبدالله المهنا

المقرر: الدكتور محمد حجي

رئيس الجلسة: د. عبدالله المهنا:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، ونبدأ المحاضرة الثانية في هذا المساء، ومحدثنا في هذه المحاضرة هو الأستاذ الدكتور محمد بن شريفة، وهو عالم جليل غني عن التعريف له مكانته وأصالته في الثقافة العربية، وإذا كان لا بد من الحديث عنه فإنني سوف أختصر أشد الاختصار، فهو عضو في عدد من المجامع العربية، حاصل على جائزة الملك فيصل العالمية وجائزة الدولة التقديرية في المغرب، ورئيس جامعة محمد الأول بوجدة، وأستاذ في جامعة محمد الخامس بكلية الآداب. سيحدثنا الدكتور محمد في هذه الجلسة عن مصدر النصوص غير المنشورة عن ابن رشد ندعوه لإلقاء محاضرته فليتفضل.

د. محمد بن شريفة:

شكراً سيدي الرئيس. بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه، وسلّم عليه تسليما، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم. حضرات الزملاء الإخوان الأعزاء أود قبل أن أشرع في الموضوع الذي اقتُرح عليّ أن أقول بأنني قد سعدت كثيرا بحضوري في هذه الندوة أيما سعادة، ولم أجد نفسي مثلما وجدتها بينكم ومعكم، فإني كما يقول الشاعر:

فـيَّ انـقـبـاضٌ وحـشـمـةٌ، فـإذا

صـادفـت أهـل الـوفـا والـكـرم

أرسـلـت نـفـسـي عـلـى سـجـيـتـهـا

وقـلـت مـا قـلـت غـيـر مـحـتـشـم

ومن هنا كانت المساهمات والمداخلات المتواضعة طوال هذه الندوة، وبعد هذا أقول إنه اقترح علي أن يكون موضوعي حول نصوص لم تنشر عن ابن رشد، فقد جاء هذا الاقتراح من الإخوة القائمين على المنظمة، لعل ذلك كان بإيعاز من زميلي وأخي الدكتور محمود مكي، إذ أننا التقينا في فاس بمناسبة جائزة البابطين، ودار الحديث حول ما تعتزمه المنظمة من تنظيم ندوة حول ابن رشد فقيها وفيلسوفا وطبيبا، ويومئذ قلت له لعل بين يدي شيئا يمكن أن يصلح لهذه المناسبة، وبالفعل فقد قمت بهذا العمل، وهو العمل المتواضع. ثم ألقى بحثه.

نصوص جديدة
حول ابن رشد

تقديم وتحقيق
د. محمد بن شريفة
مدير الخزانة العامة للكتب والوثائق
بالرباط - المغرب

القسم الأول(*)

التقديم

(*) ملاحظة لابد منها:

يجد القارئ في هذا القسم الأول: التقديم، أرقاماً في المتن تشير إلى حواش.. وقد كان الدكتور ابن شريفة وعد باستيفائها بعد عودته إلى مكتبته بالمغرب، ثم إرسالها لتأخذ مكانها في هذه الطبعة.

ومع المتابعة الطويلة، لم تصلنا هذه الحواشي الموعودة، فأبقينا الأرقام في المتن بيانا لما كان الأستاذ الجليل ينويه.

التقديم

مر على ظهوركتاب ابن رشد والرشدية لأرنست رينان ما يقرب من قرن ونصف، ومع هذا فما يزال هذا الكتاب نبراسا لكل باحث في ابن رشد ومرجعا لجميع الباحثين من جميع الأمم كما يقول الاستاذ عادل زعيتر[١].

ولم يجد الذين كتبوا بعده شيئا يضاف إلى المادة التي جمعها حول سيرة ابن رشد إلا ما كان من الورقات الأولى من ترجمة ابن رشد في الذيل والتكملة لابن عبدالملك المراكشي،فقد كانت ناقصة في مخطوطة باريس التي اعتمد عليها رينان، ثم ظهر بعد ذلك بزمن ما يتمم ذلك النقص في مخطوطة المتحف البريطاني من الذيل والتكملة[٢]. وتعتبر الترجمة التي حررها أرنالديز للطبعة الثانية من دائرة المعارف الإسلامية أحدث وأدق ما كتب عن حياة ابن رشد وتآليفه، وقد رجع إلى طائفة كبيرة من المراجع والمصادر.

وإن الواقف عليها لا يسعه إلا أن يردد قول الشاعر القديم:

هل غادر الشعراء من مُتَرَدَّمِ.

ومع هذا فإن التراث المخطوط مايزال يطالعنا بين حينٍ وحين بشيء جديد.

وقد وقعت في يدي ورقات معدودات قدمها إليّ وراق في مدينة الرباط، وأحسب أنها تضيء بعض الجوانب من حياة ابن رشد الحفيد،

وتشتمل هذه الورقات على نصوص نثرية وشعرية في مدح شارح أرسطو والرد على منتقديه حبّرها أديب ألمعي من معاصرية[٣].

فمن هو هذا الأديب؟ وما هي هذه النصوص النثرية والشعرية؟ أما الأديب الذي توجد ترجمته في مصادر متعددة فهو باختصار أبو بحرصفوان بن إدريس التُّجِيبي المرسي مؤلف كتاب زاد المسافر، وهو مجموع شعري معروف طبع أكثر من مرة[٤]. ولد سنة ٥٦٠ هـ وتوفي سنة ٥٩٨ هـ وكان حينئذٍ دون الأربعين، وهو ينتمي إلى بيت كان من البيوتات النبيهة في مدينة مرسية، وقد اشتهر من هذا البيت الذي كان يعرف ببيت بني إدريس عدد من الأعلام المذكورين في كتب التراجم[٥]، وترجم أبو بحر في آخر زاد المسافر لمن عرف بالشعر منهم وقال : «لعل أحداً يقف على هذا الفصل الذي جمعت فيه بني إدريس فيقول : قصد الادعاء والتبجح، هذا على أني لو افتخرت لما أرجأت ذكرهم إلى آخر الكتاب ولا أخّرت، ولو أني قدمتهم فيمن قدمت، لما اجترأت على الحق الواجب ولا أقدمت[٦].

لقد مات هذا الأديب الألمعي وهو في ريعان الشباب وخلف ثروة أدبية ليس بين أيدينا الآن منها إلا كتابه زاد المسافر وبعض أشعاره ورسائله[٧] ومنها شعره ونثره في أستاذه أبي الوليد ابن رشد الذي انتهى إليّ أخيرا.

وأما هذه النصوص فإنها تتألف مما يلي:

١ ـ رسالة لأبي بحر في الرد على بعض أهل شبيلية الذي انتقد على القاضي أبي الوليد بعض أحكامه.

٢ ـ قصيدة وجهها أبو بحر من الجزيرة الخضراء إلى القاضي أبي الوليد يتأسف على عدم تمكنه من السلام عليه قبل سفره من قرطبة إلى الجزيرة الخضراء.

٣ ـ مقامة أنشأها أبو بحر في مدح القاضي أبي الوليد ومدح بنيه.

ويبدو من قراءة هذه النصوص التي سنحاول تحليلها فيما بعد أنها تمثل دفاعا عن ابن رشد وانتصارا له، فما سبب هذا الدفاع؟ وما هو سياقه؟.

إن دفاع أبي بحرعن ابن رشد أملاه إعجاب التلميذ بأستاذه ووفاؤه له، فقد ذكر الذين ترجموا لأبي بحر أنه درس على أبي الوليد[٨]، وكان يزوره في قرطبة، ومن بواعث هذا الدفاع أيضا ما كان بين أسرة بني إدريس المرسية وأسرة بني رشد القرطبية من أواصر الصداقة وروابط المشيخة وتماثل الخطة، فقد كان ابن رشد الجدوولده وحفيده قضاة قرطبة كما هو معروف وكان جد أبي بحر ووالده وخاله قضاة في مرسية وغيرها.

وقد ذكر ابن الأبّار وابن عبدالملك أن أبا القاسم محمد بن أحمد التجيبي خال أبي بحر«صحب أبا الوليد ابن رشد، ولازمه بقرطبة، وأخذ عنه علمه، واستقضاه في غير ما جهة من جهات قرطبة، ولم يزل ينهض به حتى ولي قضاء الجزيرة الخضراء، ومنها ولي قضاء شاطبة، ثم صرف عنه عند محنة أبي الوليد وتتبع أصحابه[٩]. ويفهم من قول ابن الأبار : «وأخذ عنه علمه» أن هذا التجيبي كان مطلعا على أعمال ابن رشد الفلسفية، ويؤيد هذا الفهم أن الرجل أصابته محنة المشهورين بالفلسفة كأبي جعفر أحمد بن جرج الذهبي[١٠] وأبي عبدالله محمد بن ابراهيم الأصولي[١١] وغيرهما.

كما أننا نجد في بعض أشعار المذكور ما يرشح بنزعته العقلية كبيتيه اللزوميين:

يـا مـوقـظ الـنـفـس عَـلِّـمَـنْـهـا
ولا تَـكِـلْـهـا إلـى الـجـهـالـهْ
فـالـنـفـس بـدرٌ والـعـلـم شـمـس
والـجـهـل فـيـهـا سـواد هـالـه[١٢]

وقوله من قصيدة في وصف الديار:

حـالـفـتَ ذكـراهـا كـأنـك عـامـرٌ
عَـرَصَـاتِـهِـنَّ وهـن فـي الأذهـانِ
هـدم الـزمـان لـهـا وجـودا أولا
فـظـنـنـت يـبـقـيـه الـوجـود الـثـانـي[١٣]

ويبدو أن معرفة أبي بحر بأبي الوليد وصلته به كانت عن طريق خاله وأستاذه أبي القاسم هذا، ويبدو أيضا أنه شاركه في أخذ شيء من الفلسفة على ابن رشد، وسنرى أن أبا بحر كما كان معجبا بشخص أبي الوليد وفقهه كان معجبا أيضا بفكره وفلسفته، ولسنا ندري هل أصابه شيء من رشاش المحنة التي شملت خاله أم لا؟

وقد وجدناه يقول في رسالة خاطب بها ابن بقي القرطبي[١٤] قاضي الجماعة بمراكش سنة ٥٩٢ هـ «فقبل هذه الأُمَّة، كنت تحت تلك الذِّمَّة، وكنت في حرب حنين فنصرتني نصرالصِّمَّة، ولم تتمن ما تمنّاه يومئذ دريد بن الصّمّة، نهضت بي وكل مقدم قد تحير، وصفوت وكل ممسوح بجناح الظل قد تغير، ولأمرٍ مَّا تخيرت علاك ومَنْ أَخْصَبَ تخير، وما كنت إلا كالغريب ارتاد الجوار، والمحلي انتقى المعصم حين صاغ السوار» إلى أن يقول: «قاضي الجماعة يعلم كيف كان ارتجالي، عن ذلك الافق الحالي، ومالقيت من تعسف... وتعتّبه، وكيف بهرجني في ذلك المعيار العدل وكنت نفقت به، فلا

تخطئني مساعيك الجميلة عودا على بدء، فحسبي بذلك الحال من نصير ورِدْء. والعود أحمد، ولا سيما بمن عليه يعتمد»[١٥].

ونظن أن أبا بحر يلمح في هذه الفقرة إلى حكاية وقعت له في بداية محنة ابن رشد ونقلت بروايات متعددة، وخلاصتها أن هذا الأديب الحسيب ـ الذي لم يكن موظفا وكان مبذرا ومتنقلا ، وله مع ذلك عدد من الأولاد وهودون الأربعين سنة ـ رحل من مرسية إلى مراكش قاصدا مدح الخليفة وطامعا في نوال يجهز به بنتا له، لكن حيل بينه وبين الخليفة، فأخذ يمدح الرسول عليه الصلاة والسلام وآل بيته الطاهرين، وإذا بالخليفة يعقوب المنصور يري في النوم الرسول أو أباه يأمره بقضاء حاجة أبي بحر« فلما أصبح وذلك في الثامن عشرلذى حجة عام تسعين وخمسمائة أخبر بالرؤيا فوجه فيه قاضي الجماعة أبا القاسم بن بقي والكاتب أبا الفضل بن محشرة[١٦] وسألاه عن مطالبه فقضيت وزود أربعمائه دينار[١٧].

لقد توفي أبو بحر «ليلة يوم الاثنين السادس عشر من شوال سنة ثمان وتسعين وخمسمائة»[١٨] وهو في عز شبابه، وكانت وفاته بعد وفاة ابن رشد بنحو ثلاث سنوات.

وبعد، فإننا لا نربط دفاع أبي بحر عن ابن رشد بمكانة هذا الفقيه الفيلسوف عند الأديب المذكور وأسرته فحسب، وإنما نربطه كذلك بموقف أهل شرق الاندلس من ابن رشد خصوصاً والفلسفة عموماً، فإذا كان أهل قرطبة التي قصرالقاضي عمله وجاهه على مصالحها قد جاهروه عند نكبته بالمنابذة والمهاجرة، فإن أهل شرق الأندلس قد امتعضوا لما أصابه وأسفوا لنكبته، ونحن نلمس هذا في الترجمة التي كتبها ابن الأبار، ونجده قبل ذلك فيما حبره أبو بحر، ونجده بعد ذلك

في رثاء أبي الحسن سهل بن مالك تلميذ ابن رشد الذي سكن زمنا بمدينة مرسية.

ويرجع سبب حب هؤلاء لابن رشد وعطفهم عليه إلى ما كانت تتسم به البيئة العلمية في شرق الأندلس من ترحيب بالعلماء الذين نَبَتْ بهم أوطانهم وتقبل لما كان يسمى بالعلوم القديمة.

فقد استقبلت ابن حزم وأبا العلاء بن زهر وغيرهما ممن ضاقت بهم قرطبة وإشبيلية، وقد كان شرق الأندلس مجالاً لآراء ابن باجة وابن السيد وأضرابهما، ثم خلفته مرسية سرقسطة وآل إليها علمها، وغدت مركزا لتيارات فلسفية وصوفية، فظهرفيها أبو عبدالرحمن بن طاهر الذي «طالع أوضاع العلوم القديمة فبرز فيها وعد من أئمتها وله فيها أوضاع وشروح اعتمدها أهل ذلك الشأن»[١٩] وقد ذكره ابن رشد عند الكلام على إحدى المسائل في تلخيص الآثار العلوية فقال:

«وقد أطال صاحبنا ابو عبدالرحمان بن طاهر القول في هذه المسألة، واستعمل في ذلك مقدمات كثيرة لا يخفى جنسها عند من ارتاض بالعلوم الطبيعية لكن ما رام إثباته من ذلك هو حق لا شك فيه، وقد نازعه قوم من أهل زماننا وتكلف هو الرد عليهم، وأقاويله في ذلك مشهورة بأيدي الناس»[٢٠]. وأشار بعد هذا إلى المجادلة الكتابية التي وقعت بين أبي عبدالرحمن ابن طاهر هذا وأبي بكر بن الطفيل.

وقد تخرج بابن طاهر في العلوم القديمة أبو جعفر أحمد بن الحسن بن حسان «وأخذ عنه كثيرا من علم الفلسفة»[٢١] ومن الغريب أن ابن جبير صاحب الرحلة المعروفة قبل هذا الرجل رفيقا، ورضيه صاحباً وصديقاً[٢٢]، فلما وقعت نكبة ابن رشد كان من أشد المحرضين عليه بمقطعاته الشعرية المشهورة[٢٣].

وقد ظهر في مرسية ايضا عزيز بن خطّاب الذي أشبه

أباعبدالرحمن بن طاهر في علاقته بالعلوم القديمة وفي توليه أمر مرسية[٢٤]، وعليه درس أبو المطرف بعض كتب الطب والفلسفة الإشراقية[٢٥]، وقد كان هذا الاخير متشبعا بالعلوم القديمة وملما بأعمال ابن رشد كما بينا ذلك في مقدمة تحقيقنا لكتاب التنبيهات[٢٦]، ويمكن اعتبار حازم القرطاجني من الذين انتفعوا بابن رشد وإن كان في القسم الموجود من منهاج البلغاء يذكر ابن سينا[٢٧] ولا يذكر ابن رشد.

فإذا انتقلنا من مرسية وقرطاجنة إلى بلنسية وجدنا فيلسوفاً كان فيما يقال من طبقة ابن رشد، ألا وهو أبو جعفر أحمد بن جرج الذهبي البلنسي، وفيه يقول تلميذه القاضي أبو الوليد الشقندي: «إن الكمال الانساني إن جمع لإنسان فإنه لم يعد ثلاثة: أرسطو وابن سينا وأبا جعفر الذهبي»[٢٨] وإذا توجهنا من بلنسية إلى جزيرة شقرا القريبة منها وجدنا أبا الحجاج يوسف بن احمد بن طملوس الذي صحب أبا الوليد بن رشد وأخذ عنه علمه «وجمع بين التحقق بعلوم الأوائل» والتقدم في الطب والتصرف في النحو لا سيما كتاب سيبويه[٢٩]، واذا كان لم يشر إلى أستاذه ابن رشد في كتابه المدخل المطبوع، فقد ذكره في ديباجة شرحه المخطوط لأرجوزة ابن سينا في الطب، ووصفه برأس الحكماء وفاضل العلماء، قال مبينا سبب تاليفه للشرح المذكور: «جعلت تأليفي لهذا الكتاب وسيلة بين يديّ، لمن كثر إحسانه إليّ، وفضله علي، واتخذته قربة لمن تواترت بفضله الشهادات، وصحت فيه الظنون والاعتقادات، وتوافق على إحرازه الفضيلةَ الإنسانية الطبائع الكريمة منه والعادات، واستعد بما له من له من صلاح حال لقبول السعادات، الشيخ الأجل، المبارك الأكمل الأفضل، أبو يحيى بن الشيخ الأجل المعظم أبي يعقوب يوسف بن سليمان عظيم الموحدين، وقدوة المهتدين [وقد] رأيت رأس الحكماء وفاضل العلماء الشيخ الفقيه الأجل القاضي أبا الوليد محمد بن رشد رضي الله عنه يعظم شأنه ويقدمه على

عظماء العصر وكبرائه، ويرى له من الفضيلة ما لم يره لأمثاله من جلالة القدر وكبر النفس، وعلوّ الهمة، وحسن الهَدْي والسمت ورجاحة العقل وحصافة الرأي»[٣٠].

وكما كان شرق الأندلس موئلا للمشتغلين بالفلسفة كان موطنا لأهل التصوف المتفلسف كابن عربي وابن سبعين وابن المرأة وابن أحلى والحرالّي وغيرهم، كما أن معظم الأطباء في زمن ابن رشد كانوا من شرق الأندلس ومنهم أبو مروان عبدالملك ابن جريول[٣١] أستاذ ابن رشد، وحسب أبي الوليد فإن «الطبيب الفاضل هو فيلسوف ضرورة»[٣٢] وقد ذكر في آخر تلخيص كتاب المزاج أن الذي حركه إلى عمله هما ولداه أبوالقاسم وأبو محمد ثم قال «إذ كان لهما مشاركة في هذه الصناعة (يعني الطب) وفي العلوم الحِكْمِيَّة التي لا يتم النظر في هذه الصناعة إلا بها كما بين ذلك جالينوس في مقالته»[٣٣] ومعنى هذا ان أطباء شرق الأندلس الذين أشرت اليهم ـ وهم كثر ـ كانوا من أهل الفلسفة أيضا.

وقد ظلت مدينة مرسية حتى بعد سقوطها في أيدي المسيحيين مركزا للفلسفة وعلوم التعاليم، إذ إن الفونسو العاشر الملقب بالعالم استفاد من العلماء المسلمين الذين بقوا في مرسية وجهاتها وعرفوا بالمدجنين، اعتمد عليهم في التعليم بالمدرسة التي أنشأها في المدينة المذكورة وعين على رأسها واحدا منهم هو أبو بكر محمد بن أحمد الرقوطي[٣٤]، وكانت هذه المدرسة عمومية للمسلمين والنصارى واليهود، ولهذا وجدنا الحوار أو الجدل الديني ينشط في مرسية خلال هذه الفترة كالجدل الذي جرى بين ابن رشيق المرسي وريموندو مرتين[٣٥]. ثم إن الرقطوني انتقل بعد ذلك إلى غرناطة حيث علم فيها الرياضيات وغيرها[٣٦]، وسلم لغيره شعلة العلوم القديمة التي ظلت

حية بعده قليلا في غرناطة وتلمسان وفاس وتونس إلى أن انطفأت في العالم العربي ولكنها نشطت وتوهجت في العالم الغربي.

إن قصدي من هذه الفذلكة التي اضطررت فيها إلى الإيجاز هو أن أربط النصوص التي سأتحدث عنها بسياقها العام وأبين أن البيئة العلمية والأدبية في شرق الأندلس كان يسودها وئام لم يكن موجودا في غرب الأندلس، إذ كان التعايش بل التصاحب ملحوظا بين الفقهاء والفلاسفة والصوفية والمحدثين، وسأضيف شاهدا آخر علاوة على ما ذكرته، وسأقتبسه من رسالة لصاحبنا أبي بحر التجيبي يصف فيها رحلة قام بها هو وبعض الأدباء من مرسية إلى بلنسية لزيارة أعلامها وقال: «ولما حططنا بها (أي ببلنسية) رحل الإلمام، وخلعنا على عِطْف الصلاة برد الاتمام، سقط الخبر على إخواننا الأعيان، وأترابنا أرباب المجد والبيان، فوصلوا وصول الماء إلى الكبد الصديان، وأهابوا ببرهم الغامر فأتت وفوده «رجالاً وعلى كل ضامر» فأقمنا بها نطالَب من قبول البر بديون، وتتهادانا العيون من المحاجر والمحاجر من العيون، جيران أجواد عطلوا ذكر جار أبي دؤاد، ولولا الطول المؤدي إلى الإملال، الوافد بالأسماع على معرس الكلال، لشرحتهم تفصيلا، وسميتهم تحصيلا، لكنّي سأنافح زهر الربيع، بذكر قائدها الأعلى أبي الربيع، على الرسم الواجب، في شكر محدثها أبي الخطاب ابن واجب، وأخلع من الحمد أسنى لباس، على عطف فيلسوفها أبي العباس، والمنتمي فخاره إلى الذهب، السالك من السيادة أهدى مذهب، وأسلك من الثناء كل طريق على أديبها أبي الحسن ابن حريق، الراكب ذكره مطايا التغريب والتشريق، وأخلِّص التقريظ تَخَلُّص الإبريز، للشريفين أبي عبدالله وأبي حريز، ثم عذرا إليهم مما اجترأت وأقدمت، فأخرت في إيراد أسمائهم وقدمت، فما منهم إلا من حاز خطة التقديم، بالكرم الحديث والمجد القديم»[٣٧].

فهذه الأسماء المسرودة هنا هي أسماء النخبة البلنسية يومئذ وفيها نري الفقيه والمحدث والفيلسوف والأديب إخوانا على سرر متقابلين.

أما حال النخبة في قرطبة فلم يكن على هذه الحال، وصورة هذه النخبة في المقامة القرطبية دليل على ذلك[٣٨]، وما أبعد إعجاب أبي بحر بفيلسوف بلنسية ومحبته له من منافرة الاشعريين ومهاجرتهم لفيلسوف قرطبة، قال ابن عبدالملك المراكشي في سياق حديثه عن محنة ابن رشد: «وممن جاهره بالمنابذة والمهاجرة القاضي أبو عامر يحيىٰ بن أبي الحسين بن ربيع ونافره جملة، وعلى ذلك كان ابناه: القاضي أبو القاسم وأبو الحسين»[٣٩] وهؤلاء المذكورون كلهم لهم تراجم معروفة، وهم ينتمون إلى أسرة قرطبية تعرف بأسرة الاشعريين نسبة إلى أبي موسى الاشعري، كما يعرفون أيضا ببني ابن أبيّ. وللشاعر الأعمى التطيلي مدائح في رئيس هذه الأسرة في وقته[٤٠] أما معاصرة أبو عبدالله ابن أبي الخصال الذي تنسب إليه المقامة القرطبية فقد ذكر خمسة من هذه الأسرة ونال منهم وقال في حق أبي جعفر ابن أبي الاشعري ممدوح التطيلي ما نصه: «هو شيطان في كل طريق، ومع كل فريق، تميميا مرة، وقيسيا أخرى، يسلم على اختلاف الدول، مع التقحم في القول والعمل، وأظنه من المنظرين إلى يوم الدين»[٤١].

والذي يهمنا هنا هو التنبيه إلى ما كان بين الأسر القرطبية يومئذ من منافسات وخصومات، فمن المعروف أن ابن رشد الجد كان قاضي قرطبة بل قاضي الجماعة في عهد المرابطين وكذلك ولده أبو القاسم أحمد وحفيده أبو الوليد قبل محنته، أما أبوعامر الأشعري الذي لم يكن قد بلغ الأربعين سنة وقت محنة ابن رشد فلعله كان يتشوف إلى أن يحل محله، وقد حصل ذلك بالفعل ولكنه كان آخر قاض في قرطبة إذ تملكها الروم وهو يتولى قضاءها سنة ٦٣٣ هـ[٤٢].

ولم يكن التنافس على قضاء قرطبة وحده سببه المنافرة بين الرجلين حسب تقديرنا، وإنما كان هناك أيضا الاختلاف المذهبي أو العقدي بينهما، فقد كان أبو عامر أشعريا «نسبا ومذهبا» حسب تعبير أبي الحسن الرعيني، بينما كان أبو الوليد ينتقد الأشاعرة والمتكلمين بصفة عامة، ولا سيما في كتابه مناهج الأدلة، في عقائد الملة، وقد ذكر الرعيني[٤٣] في برنامجه كتاباً لأبي عامر الأشعري يبدو من عنوانه أنه رد على مناهج الادلة، وهو كما يلي: كتاب تحقيق الأدلة، في عقائد الملة ودفع الشبه المضلة، والأقوال المضمحلة، بالحكمة البالغة، والحجة الدامغة» وقد اكتفي الرعيني بالقول إنه كتاب في الاعتقاد، ولم يشر إلى أنه في الرد على مناهج الأدلة لابن رشد، وذكر الرعيني بعد للأشعري أيضا تواليف أخرى هي: كتاب تحرير البرهان الجلي، في ابطال الفعل الطبيعي، وكتاب الرد على من زعم أن العالم لا يقال فيه لا قديم ولا محدث، ورسالة النجم الثاقب، في استحالة تغير الواجب وكتاب الرد على كتاب البرهان[٤٤] وهذه الكتب وإن كانت في علم الكلام إلا أننا نقدر أنها لم تكن تخلو من الرد على ابن رشد، كما أننا نرجح أن يكون الكتاب الأخير ردا على كتاب ابن رشد في الموضوع، ومن هذه التآليف التي سماها الرعيني «رسالة الاستيفاء لرسالة الايماء، في مسألة الاستواء» ونظن أنها تابعة للرسالة التي رد بها ابن الإلبيري[٤٥] على ابن رشد الجد في مسألة الاستواء الواقعة له في الجزء الأول من المقدمات[٤٦]، ولعل رد الأشعري على ابن رشد الجد وعدم اقتصاره على الحفيد يعزز ما أشرت اليه آنفا من منافسة بين الأسرتين. وقد أشار ابن الأبار إلى تآليف الاشعري المذكورة دون تسميتها فقال في مؤلفها وفيها: «وكان إماما في علم الكلام وأصول الفقه ماهراً في المعقولات، ونوظر عليه في كتابي أبي المعالي: الشامل والإرشاد وغير

ذلك، وله تواليف في هذه الصناعة جليلة[٤٧]» وقال البِنَّاهي: «وله تواليف في علم الكلام جليلة نبيلة»[٤٨].

لم يكن الأشعري هو الوحيد الذي خاصم ابن رشد، فقد شاركه في مخاصمة أبي الوليد عالم مغربي كان سبباً قوياً في نكبة أهل الفلسفة، ومع ذلك لم يشر إليه أحد ممن كتبوا عن ابن رشد، وهذا العالم هو عبدالرحمن بن محمد الرجراجي، ترجم له ابن الأبار، وقال: «دخل الأندلس، وسكن قرطبة، وولي قضاء استجة من كُوَرها، وكان شيخا صالحا متحققا بعلم الكلام متعسفا شديدا في أحكامه، ونوظر عليه بقرطبة وجرى بينه وبين القاضي أبي الوليد بن رشد ما جر نكبته المشهورة، ونكبة أصحابه[٤٩]».

ومن الواضح أنه لا هذا الرجراجي ولا ذاك الأشعري كانا وحدهما سبب نكبة ابن رشد، فقد كان للنكبة أسباب أخرى، ذكر منها المؤرخون أن أبا الوليد كان يرفع الكلفة في مخاطبة الخليفة المنصور، وأنه لقبه في بعض تآليفه بملك البربر، وأنه وجد بخطه في بعض التلاخيص حاكيا قول من قال : ان الزهرة أحد الآلهة، وأنه كان مختصا بأبي يحيى أخي المنصور ووالي قرطبة، وأنه كان له حساد كثيرون[٥٠]، ويضاف إلى هذه الأسباب شعوره بالتفوق على معاصريه من أهل العلم ونقده فقهاء وقته، وقوله فيهم إنهم متفقهه وليسوا بفقهاء، وأنهم ينتسبون إلى علم الشرع وهم معرون مما تعرفه العامة[٥١]، وكذلك نقده أطباء زمنه وقوله فيهم إنهم أبعد خلق الله عن هذه الصناعة»[٥٢] ولا شك أن من شأن هذا أن يُكثِّر حساده.

أما أهم الأسباب في محنة ابن رشد وأصحابه في نظرنا فهو أن الموحدين لم يكن لهم خط واضح أو رأي ثابت، فقد امتحنوا الفقهاء وأتلفوا كتب الفقه، ثم رجعوا عن ذلك، وامتحنوا الصوفية ثم أصبح

بعضهم من أتباعهم، وامتحنوا الفلاسفة بعد أن شجعوهم على خدمة كتبها ثم عفوا عنهم، فقد استدعى المنصور أبا جعفر الذهبي بعد المحنة ودرس عليه بعض ما كان ينتحله من العلوم النظرية[٥٣]، وقد سخر أحد الممتحنين وهو أبو عبدالله محمد بن إبراهيم الأصولي من هذا التناقض، وكان فيما رواه ابن عبدالملك المراكشي - يقول حين استقضى ببجاية بعد العفو عنه: «والله ما تقلدتها رغبة فيها ولا تغبيطا بها ولكن تسجيلا على مقلدها إياي بقبيح التناقض الذي لا يصدر عمن له مسكة عقل في تولية القضاء والفصل في الأحكام الشرعية بين الناس من صحت عنده زندقته واشتغاله بعلوم الأوائل»[٥٤].

ولا ننسى أن نشير في الأخير إلى أن امتحان الفلاسفة كان في أعقاب الانتصار الباهر في معركة الأرك، وكانت الحماسة الدينية والشعبية على أشدها حينئذ، ولعل الخليفة يعقوب المنصور كان محتاجاً إلى ترضية العامة الذين حركهم خصوم ابن رشد وأصحابه.

لقد أشرت منذ قليل إلى محنة الفقهاء أو فقهاء الفروع بالأحرى، وهي محنة لم تكن أهون من محنة الفلاسفة بدليل هذه الحكاية التي يرويها ابن عبدالملك في ترجمة أبي بكر محمد بن على التجيبي الاشبيلي، قال: «وامتحن من قبل المنصور مع مثيله في المعارف والفضل أبي الحسين بن زرقون المحنة المشهورة، على ما سأذكره في رسم ابن زرقون إن شاء الله تعالى، ولما خلص من تلك النكبة أكثر لزوم داره، وانقبض عن مداخلة كثير من الناس، وكانت له غرفة مشرفة على الدرب الذي كات به داره، فكان كثير الجلوس بها، ثم إن المنصور تذكره وأراد استدعاءه وتأنيسه، فأمر بالبحث عنه، فتوجه إليه الشرطيون، ولما دخلوا على دربه ورآهم من غرفته تلك أوجس في نفسه خيفة منهم، ووقع في خاطره أنهم إنما جاءوا إليه لشر يراد به، فنخب فؤاده لذلك واستطير قلبه ذعرا، وتمكن ذلك منه حتى كاد عقله

يختلط وأصابه خدر واعتل، واختلت حاله جملة، ولما أعلم بما جاء اليه الشرطيون لم يجد من نفسه ولم يوجد فيه ما يفي بالمقصودمنه، ولما أعلم المنصور بحاله تلك شق عليه ولم يتأت له حيلة في دفع ما أثر فيه الخوف والذعر، وأصابته لذلك زمانة لم ينتفع معها بنفسه، ولا انتفع به، وتمادى حاله على ذلك إلى أن توفى بعد عصر يوم السبت لثلاث عشرة خلت من رجب ست وتسعين وخمسمائة»[٥٥].

ونعود بعد هذا إلى نصوص أبي بحر ونستعرضها حسب ترتيبها الذي سبقت الإشارة إليه:

فالنص الأول هو رسالة رد فيها أبو بحر ردا عنيفا علي فقيه إشبيلي انتقد بعض أحكام القاضي أبي الوليد، وقد تساءلنا في شرحنا لاشارات هذه الرسالة عمن يكون هذا المنتقد المجهول، وقدرنا بناء على بعض فقرات الرسالة أنه ربما يكون عبدالكبير الغافقي الذي كان من تلاميذ أبي الوليد وأتباعه، ثم انفصل عنه وأسهم في نشر بعض الإشاعات حوله كالحكاية التي نسب فيها إلى ابن رشد إنكار وجود قوم عاد[٥٦]؛ وأما ما انتقده على ابن رشد فقد يكون مسألة من مسائل الفروع، ويبدو أن الفقيه المذكور بعد أن انفصل عن ابن رشد انضم إلى جماعة من فقهاء الفروع في إشبيلية حاولوا الوقوف في وجه دعوة يعقوب المنصور إلى الأخذ في الأحكام بظاهر القرآن والسنة وأمره بإحراق كتب الفروع المالكية[٥٧]، وقد برز من هذه الجماعة أبو بكر محمد بن علي التجيبي الاشبيلي الذي ذكرنا خبر امتحانه آنفا وأبو الحسين محمد ابن زرقون وأبومحمد عبدالكبير، فأما الأولان فقد امتحنا بالاعتقال والسجن الطويل مع الاخافة الشديدة التي أدت بأحدهما إلى الموت، وأما عبدالكبير فقد اختفى مدة تلك المحنة ولم يظهر إلا بعد أن رفعت المحنة عن شريكيه، وقد ذكر لتلميذه الرعيني أن سبب المحنة كان ـ فيما زعموا ـ هو أبو بكر ابن زهر الأثير عند

المنصور[٥٨]، ولكن رسالة أبي بحر تشبه الفقيه عبدالكبير - إذا صح تقديرنا أنه المقصود فيها - ببراقش التي جنت على أهلها وتنعته بالدُّرَيْص الذي ضلّ نفقه[٥٩]، ونظن أن من أسباب انتقاد هؤلاء أحكامَ أبي الوليد أنه كان ينزع فيها إلى الاجتهاد، وكتابه بداية المجتهد عنوانٌ دال على ذلك وقد زعم أبو الحسين ابن زرقون أحد الثلاثة المذكورين «أن القاضي أبا الوليد بن رشد استعار منه كتابا مضمنه أسباب الخلاف الواقع بين أئمة الأمصار من وضع بعض فقهاء خراسان فلم يرده اليه وزاد فيه شيئا من كلام الإمامين أبي عمر بن عبدالبر وأبي محمد بن حزم ونسبه إلى نفسه»[٦٠]، وقد نقل ابن عبدالملك المراكشي هذا الكلام عن أحد الإشبيليين رواية عن ابن زرقون المذكور وأضاف هذا الاشبيلي قائلا عن ابن رشد: «الرجل غير معروف بالفقه وإن كان مقدما في غير ذلك من المعارف»[٦١] والحق أن أمارات التحامل واضحة في هذا الكلام، فابن رشد عاش في بيئة فقهية معروفة وورث الاشتغال بالفقه عن أبيه وجده وشهد له معاصروه بالتمكن من الفقه وقيلت فيه العبارة المشهورة«يفزع إلى فتواه في الطب كما يفزع إلى فتواه في الفقه»[٦٢] وقد روى الكتاب عن ابن رشد، ذكر ابن الزبير في ترجمة أبي القاسم عبد الرحمن بن علي الجزري أنه أخذ عن أبي الوليد بن رشد كتابه المسمى بالنهاية[٦٣]، وكذلك عبدالرحمن بن أحمد ابن القصير الغرناطي[٦٤]. ولو قال خصومه إن بداية المجتهد هي تلخيص من أعمال ابن رشد الجد لكان لقولهم جانب من القبول، إذ لا شك في أن الحفيد استفاد من تراث جده.

ولعل من أسباب حركة هؤلاء الفقهاء أوالمتفقهة كما يدعوهم ابن رشد - أنهم رأوا المنصور الموحدي يسند خطط القضاء والفتوى والشورى إلى غير الفروعيين، فقد قدم الفيلسوف أبا جعفر بن جرج الذهبي «للشورى والفتوى في القضايا الشرعية، فكانت الفتاوي في

نوازل الأحكام تصدر عنه فتبلغ القاضي الحافظ أبا العباس بن محمد بن جوهر الصفار فينسب كل فتوى إلى قائلها من أهل المذهب، وكثر ذلك منهما، فأنهي إلى أبي جعفر فقال: ما أعلم من قال بتلك الأقوال التي أفتي بها، ولكني أراعي أصول المذهب فأفتي بما تقتضيه وتدل عليه، فكان يُقضى العجبُ من حذق أبي جعفر وإدراكه وجودة استنباطه ومن حفظ أبي العباس وإشرافه على أقوال الفقهاء وحضور ذكره إياها، وكان العجب من أبي جعفر أكثر، وقد قيد عنه من أجوبته على المسائل الفقهية وغيرها الكثير الحسن البديع»[٦٥].

وقد ذكر ابن عبدالملك أن هذا الرجل «كان أعلم أهل زمانه بالعلوم القديمة وبالتعاليم منها خصوصا، ماهرا في العربية، وافر الحظ من الادب ..، متحققا بأصول الفقه، ثاقب الذهن متوقد الخاطر غواصا على دقائق المعاني بارع الاستنباط»[٦٦].

ومن المعروف أن ابن رشد الحفيد كان له الحظ الأوفر من هذه الأدوات «وكانت الدراية أغلب عليه من الرواية»[٦٧]. وإذ قد ذكرت تولية المنصور أبا جعفر خطة الفتوى والشورى وهوكابن رشد ـ في نظر فقهاء الفروع يومئذ غير فقيه، فأذكر مثالا آخر يبدو أغرب من سابقه، فقد استقضى يوسف بن عبدالمومن ـ وهو الخليفة المستنير ـ الطبيب أبا بكر ابن زهر في محلّته عندما كان محاصراً جبل الكوكب من غماره «فكان يدعى حينئذ قاضي الجماعة»[٦٨] وقد يبدو هذا أمرا غريبا ولكن ليس كذلك فقد كان هذا الطبيب الأديب «حافظا للحديث والفقه» وكان يحفظ صحيح البخاري إسناداً ومتنا[٦٩].

ويمكن القول إن معظم قضاة الموحدين في عهدهم الأول كانوا من الذين ينزعون إلى الاجتهاد أو يميلون إلى الأخذ بالظاهر، ولهذا وجدنا بعض الفروعيين يومئذ يكتبون في الرد على ابن حزم، ومنهم أبو الحسين

ابن زرقون أحد الثلاثة المذكورين، فقد ألف كتابا كبيرا سماه المعلى في الرد على المحلى والمجلى[٧٠]، وألف أبو المجد عقيل بن عطية كتابا في مناقشة ابن حزم وصاحبه الحميدي سماه: فصل المقال، في الموازنة بين الأعمال[٧١]، كما راج الكتاب الذي ألفه قبيل هذا التاريخ أبو الاصبغ ابن سهل وسماه: التنبيه على شذوذ ابن حزم[٧٢]. ومهما يكن فإن أبا بحر رد على هؤلاء في رسالته قائلا: «ليت شعري ماذا على الحق من قوم أبدواعنادا، وأوروا في تلهب الشمس زنادا، تعسا لهم هلا التزموا الاقتصاد، وعلمو أن العنقاء تكبر أن تصاد، وتركوا الأخذ في أسلوب التعليل، ودروا أن النهار لا يحتاج إلى دليل، أللقاضي أبي الوليد يَعْرِضون، ولأحكامه الشرعية يعترضون، وهل ذلك فيما اقتضى حقيقة النظر، إلا كما تعاطى الفرزدق مساجلة الأخضر»[٧٣] وسار أبو بحر في بقية رسالته على هذا النحو منتقدا خصوم أبي الوليد بعنف، ومكثرا من ضرب الأمثال والإشارة إلى الأقوال، وإن مما يؤسف له أن هذه الرسالة أصابها في الأصل المخطوط محو شديد في سطور منها وقد اجتهدنا في قراءة بعضها ولم نتمكن من قراءة بعضها الآخر[٧٤].

والنص الثاني من هذه النصوص التي نقدم لها هو عبارة عن قصيدة تتألف من ثمانية عشر بيتا، ويذكر أبو بحر أنه سافر من قرطبة إلى الجزيرة الخضراء على عجل ولم يتمكن من السلام على القاضي أبي الوليد، ولما وصل إلى المدينة المذكورة وجه إليه هذه القصيدة، وهو يبدي فيها حرصه على لقاء الاستاذ والبقاء إلى جانبه إذا إليه تشد الرحال وفي رحابه يطيب المقام، ويذكر أنه طالما اشتاق - وهو في بلده مرسية - إلى رؤيته ومجلسه ثم يقول:

فلما أتاح الله لي قرب داركم

دعتني إلى زم القلاص النوائب

وخاصمني فيكم فراق عهدته
يطاعن من دون المنى ويضارب
فبنت ولما أقض حق وداعكم
وياشد ما ضاقت علي المذاهب
وما عاقني إلا انحفاز بسحرة
أجابت به دعوى الحداة النِجائب[٧٥]

ويشير إلى أنه سافر في ليلة ممطرة:

بليل كقلبي إذ حرمت وداعكم
وغيث كدمعي مستهل وساكب[٧٦]

ويصرح أنه كان يتمنى لوظل بقربه في قرطبة:

وكان اختياري أن أفوز بقربكم
فتُدرك آمال وتُقْضَى مآرب[٧٧]

وقد مدح أبو بحر ابن رشد بما كان معروفاً عنه وأثنى عليه بما هو أهله، فذكر كرمه:

وما ضر قطرا أنت فيه مبرز
على الغيث أن لاتنتحيه السحائب
بكفكم والله يكلأ حفظها
منافع تزري بالحيا ومشارب[٧٨]

وذكر علمه:

وأنت إمام العلم غير منازع
وكُتْبك في أهل الضلال كتائب[٧٩]

ووصف حكمه وعدله:

وفي حكمك الفصل المنزه يستوي
بعيد ودان أو عدو وصاحب

إذا انفصل الخصمان من عندك ارتضى
بحكمك مطلوب هناك وطالب
وافصح بالشكر الجزيل كلاهما
كأن كلا الخصمين عندك غالب

وقد أكد ابو بحر على هذا المعنى في شعرين آخرين سنتحدث عنهما فيما بعد، فقال في أحدهما:

إلى قضاءٍ في الناس فَصْلٍ
يُثْنِي عليه فمُ الحسودِ[٨١]

وقال في الآخر:

بك اشتد أزْرُ الخَلْق بعد انحلاله
وأصبح جِيدُ الحقِّ منتظم العِقْدِ
تداركت ركن العلم من بعدما وَهَىٰ
وأظهرت صبح العدل في الظُّلَم الرُّبْد[٨٢]

وقد بسط أبو بحر في موضع آخر هذه الصفات التي يجب أن يتحلى بها القضاة فقال: «أما لو علم المتشوفون إلى خطة الأحكام المستشرفون إلى مالها من التبسط والاحتكام، ما يجب لها من اللوازم، والشروط الجوازم، كبسط الكنف، ورفع الجنف، والمساواة بين العدو ذي الذنب، والصاحب بالجنب، وتقديم ابن السبيل، على ذي الرحم

والقبيل، وإيثارالغريب، على القريب، والتوسع في الاخلاق، حتى لمن ليس له من خلاق، إلى غير ذلك مما علم قاضي الجماعة أحصاه، واستعمل خلقه الفاضل أدناه وأقصاه، لجعلوا خمولهم، مأمولهم، وأضربوا عن ظهورهم، فنبذوه وراء ظهورهم، اللهم إلا من أوتي بسطة في العلم، ورسا طودا في ساحة الحلم، وتساوى ميزانة في الحرب والسلم»[٨٣] وهذه الصفات المثالية التي بسطها أبو بحر هنا وأوجزها هناك مستمدة من رسالة القضاء المنسوبة إلى سيدنا عمر بن الخطاب كما انها أيضا مستوحاة من بيئة أسرته، فقد كان جده ووالده وخاله وأخوه ثم ولده قضاة. أما هو فقد نشأ أديبا متفرغا للشعر والكتابة وكان يصحب أباه تارة وخاله تارة إلى المدن التي يتولون فيها القضاء، وهذه القصيدة التي كتب بها أبو بحر من الجزيرة الخضراء إلى القاضي أبي الوليد كأنت ـ فيما نقدر ـ بمناسبة أنتقاله إليها صحبة خاله أبي القاسم الذي عين قاضيا فيها بإشارة من شيخه ابن رشد، وبما أننا لا نعرف تاريخ هذا التعيين فلا يمكن أن نعرف تاريخ القصيدة بالتحديد ولكننا نقدر أن هذا كان في أواسط قضاء ابن رشد في قرطبة أي حوالي ٥٨٥ ففي هذا التاريخ كان أبو بحر في الخامس والعشرين من عمره وكان خاله القاضي في الخامس والثلاثين[٨٤].

وننتقل بعد هذا إلى النص الثالث والأخير وهو المقامة التي أنشأها أبو بحر بقرطبة يمدح بها القاضي ابن رشد وبنيه، ونقدر أنه قدمها بين يدي قدومه عليه في قرطبة صحبة خاله المذكور.

وموضوع هذه المقامة هو المديح، وهو من الأغراض الشعرية التي شاعت في المقامات، ويبدو البطل في هذا النوع متحفزا للسفر متشوقا إلى الفرصة السانحة لتحقيقه، أما الحدث البارز فيها فهو أن البطل يصادف خلال سفره شخصا في اليقظة (أو في المنام كما في مقامتنا) ويجري على لسانه ما يريد قوله، وهو هنا مدح ابن رشد وبنيه

شعرا ونثرا. وقد رأينا شيئا من مدح أبي بحر لأستاذه في النصين السابقين ولكنه لا يقاس بالمدح الذي اشتملت عليه هذه المقامة، فإبن رشد سيد العالمين جمعياً، وهو نكتة الوجود، وهو يجمع بين علم الدين وعلوم عذبة الورود، ولعله يقصد بها علوم الفلسفة والفلك والطب، وقد نفهم هذا من قوله أيضا في وصف هذه العلوم:

قَـيَّـدَتِ الـفـتـك فـي حـمـاهـا
وافْـتـكَّـت الـديـن مـن قـيـود
بـرهـانـهـا الـحـق فـي الـمـعـانـي
تـقـبـلـه فـطـرة الـبـلـيـد[٨٥]

على أنه عبر عن هذا بوضوح في قوله: «وأخذ الثنايا على بطليموس والاسكندر وأرسطو، واشتمل على كل ما قبضوا من العلوم وبسطوا»[٨٦].

كما أشار إلى جمعه بين الحكمة والشريعة في قوله: «فبصناعته النظرية تخضد شوكة التعطيل، وبيضاعته الدينية تدحض حجج الاباطيل»[٨٧] وشبه نجاحه في الجمع بينهما بنجاح سلطان يعدل بين العباد وينشر الأمن في البلاد، فترعى النعجة بجانب الذئب في سلام، وهذا قوله: «إلى معرفة بالشريعة (وحكمة) مشرفة (على) ربوتها المنيعة، يجمع بينهما في المورد بين الشبل والسخل، ويصدع بحكم الله، ودع ما تدعيه كرب النخل»[٨٨].

ونوه بحدة ذكائه وشدة فهمه فقال: «وجعل لسيوف ذهنه في مضارب الغوامض تأثيرا، وآتاه الحكمة ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا»[٨٩] وعبر عن إعجابه به قائلا: «من رجل حدرت به وجوه الشرائع والطبائع عن القناع»[٩٠].

أما مهارة ابن رشد في الطب فيشير إليها بقوله: «إلى انخراط في سلك جالينوس وبقراط، سالك من إصابة المحز وتطبيق المفصل على أوضح سراط»[٩١]. وأما شهرته بالفلك والرصد فيتحدث عنها بقوله: «قيد حدود الأعراض والجواهر، وأحاط بنظره العقلي وتدبيره الباهر، بهيئة الأفلاك ومجاري نجومها الزواهر»[٩٢].

وقد ألح أبو بحر في مقامته على إيمان ابن رشد وتوحيده وتعبده وخشيته وجمعه بين العلم والعمل فقال: «أشرف على أسرار الوجود، فاعترف أن الله لاإله إلا هو باريء كل موجود، وأتبع في علمه وعمله الدلو بالرشاء، ذلك فضل الله يوتيه من يشاء، وبرأه الله طاهر الذيل والجيب، وجعله من «الذين يخشون ربهم بالغيب» وجمل به وجه الهدى وحسنه، حين خلقه من «الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه»[٩٣] وقد كرر الإشارة إلى ورعه وزهده فقال: «وورع لا يعارضه، من انهل بالنسك عارضه، وانقباض عن الدنيا لا يساجله، من طفحت بأسرار الخشية مراجله»[٩٤]. وهذا الذي ذكره أبو بحر في مقامته شهد به تلميذ ابن رشد عبدالكبير الغافقي الذي انفصل عن استاذه كما ذكرنا وأصبح من منتقديه، فقد قال: « إن هذا الذي ينسب إليه (يعني محادة الشريعة) ما كان يظهر عليه، ولقد كنت أراه يخرج إلى الصلاة وأثر ماء الوضوء على قدميه وما كنت آخذ عليه فلتة إلا واحدة»[٩٥] ثم ساق الحكاية المزعومة التي أشرنا إليها قبل في إنكار وجود قوم عاد. وشهد بحسن دينه ويقينه تلميذه ابن الطَّيْلَسان القرطبي فقد وصف خطبة لابن رشد في الحض على الجهاد وصفا جميلا وقال: «وخرجنا معه يوم ورد الخبر بهزيمة الروم على حصن الأركة صحبة علامات (أي أعلام) الطاغية أدفونش، فلما اجتمعنا مع الواصلين به وشاهدنا عندهم علامات (أي أعلام) العداة منكوسة سجد القاضي شكرا، وسجد جميعنا عند سجوده شكرا لله تعالى[٩٦]» وروى لهم الحديث الوارد في هذا.

إن في هذه المقامة أيضا فقرا وأسجاعا تعبر ببلاغة وتصور ببراعة شرف ابن رشد وعزته ومكأنته وسمته ووقاره وكرمه وسماحته وحلمه وسياسته وسعيه في خدمة الناس «فقلما تعلق أحد بأردانه، أو اتسق في سمط أخدانه، فتحبط للزمان، في شرك الامتحان، أو سقط العشاء به على سرحان»[٩٧] وقد شهد بهذا الذي ذكره أبو بحر جميع الذين ترجموا له ومنهم ابن عبد الملك الذي يقول: «وكان على تمكن حظوته عند الملوك وعظم مكانته لديهم لم ينفق جاهه قط في شيء يخصه ولا في استجرار منفعة لنفسه، إنما كان يقصره على مصالح بلده خاصة ومنافع سائر بلاد الأندلس عامة[٩٨]» وأصل هذه العبارة لابن الأبار، قال: «وتأثلت له عند الملوك وجاهة عظيمة لم يصرفها في ترفيع حال، ولا جمع مال[٩٩] إنما قصرها على مصالح بلده خاصة ومنافع أهل الأندلس عامة».

لقد راوح أبو بحر في هذه المقامات فاشتملت المقامة على قصيدتين قالهما على لسان الشخص الذي تخيل أنه لقيه في سفره وجعله يلقيهما بين يدي القاضي وهما خالصتان للمديح، فمن الأولى قوله:

ما سيد العالمين طرا

إلا ابن رشد أبو الوليد[١٠٠]

ومن الثانية قوله:

وكل بني رشد سما غير أنه

سبقت بني رشد وغير بني رشد[١٠١]

وقد مدح في هذه القصيدة الثانية أبناء أبي الوليد فقال:

وأبـنـاؤك الـغـر الـذيـن تـجـاوزوا
مـدى الـعـزة الـقـعـسـاء والـجـود والـجـد
ثـلاث أثـاف لـلـسـمـاحـة والـنـدى
ومـا ضـرنـي ان قـلـت لـلـعـلـم والـمـجـد
ذوو أوجـه غـر وأيـد كـريـمـة
ومـعـرفـة عـد وألـسـنـة لُـدّ[١٠٢]

وقد طلب الكاتب من هذا الشخص الخيالي أن يصف له هؤلاء الاولاد فأخذ يصفهم جملة وتفصيلا وأطنب في مدحهم وقال في أبي القاسم أحمد كبير أولاد أبي الوليد إنه لازم والده وعني بالفقه وبرع فيه وهذا ما يؤكده ابن الأبار الذي يقول في ترجمته: «روى عن أبيه أبي الوليد وجده وأبي القاسم ابن بشكوال وولي القضاء» وقد كان ملما أيضا بشيء من علم والده في الفلسفة والطب وهذا ما يدل عليه قول ابن رشد في اخر كتابه في تلخيص كتاب المزاج الذي أتمه عام ٥٨٨هـ:

«وأكثر ما حركني إليه ابناي: أبو القاسم وأبو محمد إذ كان لهما مشاركة في هذه الصناعة وفي العلوم الحكيمة التي لايتم النظر في هذه الصناعة إلا بها كما بين ذلك جالينوس في مقالته أن الطبيب الفاضل هو فيلسوف ضرورة».

ثم ثنث المقامة بالحديث عن أبي الحسن (أو أبي الحسين) فوصفته بالذكاء والفهم والسماح والصلاح والجود الذي يفوق الحد، وهذا الفصل من المقامة هو كل ما يعرف ولد ابن رشد هذا إذ لاتوجد له ترجمة فيما وقفنا عليه، ومما يؤسف له أن الفصل الخاص بالولد

الثالث من أولاد ابن رشد وهو أبو محمد عبدالله لايوجد في هذه النسخة الوحيدة من المقامة التي بين أيدينا إذ إن آخرها بياض، ولعل ناسخها الذي هو حديث العهد نسبيا لم يجد من النسخة التي نسخ منها غير ما وقف عنده، ومهما يكن فإن أبا محمد عبد الله كان ـ فيما يبدو ـ الوريث الحقيقي لوالده، وقد ذكر ابن أبي أصيبعة في أثناء ترجمته لوالده فقال: «وخلف (أي ابن رشد) ولدا طبيبا عالما بالصناعة يقال له أبو محمد عبدالله» وعاد فترجم له بعد ترجمة والده مباشرة فقال: هو أبو محمد عبدالله بن أبي الوليد محمد بن احمد بن محمد بن رشد. فاضل في صناعة الطب عالم بها مشكور في أفعالها، وكان يفد إلى الناصر ويطبه. ولأبي محمد ابن رشد من الكتب مقالة في حيلة البرء» وقد نشرت هذه المقالة مع مقالة أخرى له فلسفية حول الصلة بين العقل الهيولاني والعقل الفعال في آخر النشرة الأسبانية لتلخيصات ابن رشد لأعمال جالينوس.

والمفهوم من مقامة أبي بحر أن أولاد أبي الوليد هم الثلاثة المذكورون لاغير، ولكن عبارة ابن أبي اصيبعة لاتخلو من غموض، فقد قال بعد أن ذكر أبا محمد عبدالله ما يلي: «وخلف أيضا أولادا قد اشتغلوا بالفقه واستخدموا في قضاء الكور» وهذه العبارة قد تفيد أن أولاد ابن رشد كانوا أكثر من ثلاثة، وعلى كل حال فلا يعرف ممن ولي القضاء منهم إلا أبو القاسم كما تقدم.

ولأبي الحسن ابن سهل الغرناطي تلميذ ابن رشد كلمة في رثاء شيخه شعرا ونثرا خاطب بها أولاده تعزية لهم، ولكن لايستفاد منها ما يدل على عدد هؤلاء الأولاد.

وقد ورد في آخر هذه الكلمة التي سنتحدث عنها قوله مخاطبا هؤلاء الأبناء وداعياً لهم: «جعل الله منكم لآبائكم خلفاً، وأبقى منكم لأبنائكم سلفا، ولا أراكم الوجود بعده تلفاً»[١٠٣]

وإذا كنا نعرف أن أبا القاسم وهو الابن الأكبر لأبي الوليد توفي سنة ٦٢٢ هـ فإننا لا نعرف متى توفي أبو محمد وكل ما نعرف أنه كان يفد من قرطبة على الناصر في مراكش. [١٠٤]

ولسنا ندري حول من بقي (من أبناء أبي الوليد إلى سقوط قرطبة سنة ٦٣٣هـ.[١٠٥] ويبدو أن أبا محمد ابن رشد أقام في الأخير بالمغرب، وبقي له عقب إلى القرن الثامن على الأقلّ.

وقد حفظ الأديب المؤرّخ أبو الوليد إسماعيل بن الأحمر ترجمة لأحد أحفاد ابن رشد في القرن الثامن بدأها هكذا: «شيخنا الفقيه القاضي الخطيب الحاج عبدالرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن عبدالله بن الفقيه الامام القاضي أبي الوليد محمد الحفيد بن الفقيه القاضي أبي القاسم أحمد بن الفقيه الإمام القاضي أبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد الأموي يكنى أبا القاسم. أدركته ورأيته وأجازني في القصيدة الموسومة بالبردة»

وقد أكد ابن الأحمر أن هذا الفقيه القاضي هو «من ولد الحفيد ابن رشد وبابن الحفيد يعرف». [١٠٦]

وترجمة هذا الحفيد ابن الحفيد تبيّن كيف تلاعب الزمن بأبناء هذه الأسرة وتقاذفت بهم النوى كغيرهم من الأندلسيين.

فقد ولد بسجلهما ستة ستة مما يشير إلى أن والده كان ربما في خطة من خطط الدولة في هذه المدينة التي كان لها شأن كبير في عهد

بني مرين[١٠٧]، ثم أنه أنتقل إلى قاسم وولاه السلطان المريني أبو فارس عبد العزيز قاضياً في مدينة أصيلا.[١٠٨]

وقد ذكر ابن الأحمر أيضا مشاركته في اللغة والنحو والفقه والحديث والتاريخ وأورد شيئا من شعره.[١٠٩]

وهذا الحفيد هو آخر المعروفين من ذرية ابن رشد.

إن نصوص أبي بحر التي ذكرنا بعض معطياتها تظهر وفاء بعض تلاميذ ابن رشد وأبنائه الروحيين له.

فمن هم هؤلاء التلاميذ؟

لقد أشرت إلى أن دفاع أبي بحر عن أبي الوليد ومديحه فيه وإعجابه تشعر بحب هذا التلميذ ووفائه. ولا شك أنه كان من أنبل تلاميذ ابن رشد وأنبههم، وإن كنا لا نعرف ماذا درس عليه كما لا نعرف كم جسر بين يديه، وقد روي عنه في كتاب زاد المسافر حكاية أدبيةطريقة تدل على روح المرح وخفّة الدم عند القاضي الفيلسوف، وذلك أن أبا بحر ذكر في ترجمة الشاعر أبي بكر الأبيض الأبيات التالية من قصيدة له:

كـونـي عـلـى حـذرٍ فـإنّ عـداتـنـا
يـتـرقـبـونـك بـالـمـكـان الـبـلـقـع
فـإذا لـقـيـت سـراتـهـم فـتـقـنّـعـي
حـذراً عـلـى خـلـق الـحـمـام الأروع
لُـفّـي بـنَـانَـك بـالـرداء وسـلّـمـي
تـكـفـي الـكـريـم إشـارة بـالإصـبـع

ثم علق عليها بقوله:

«حدثني القاضي الأجل أبو الوليد بن رشد قال: كان ابن صارة إذا لقي الأبيض لفّ إصبعه في كمّه وسلّم عليه تعريضا بهذا البيت حتى أحرجه فآل ذلك إلى التهاجي بينهما[١١٠] ثم أورد المهاجاة المشار إليها رواية عن ابن رشد: وهذا يدل على عناية الفقيه الفيلسوف بالآداب عامة وآداب الأندلسيين خاصة، والحكاية التي رواها عند أبو بحر هي نموذج من الحكايات التي كان يوردها في مجالسه.

قال ابن الأبار: «حكي عنه أبو القاسم ابن الطيلسان أنه كان يحفظ شعري حبيب والمتنبي ويكثر التمثّل بهما في مجلسه ويورد ذلك أحسن إيراد» وقال ابن عبدالملك: «كان إذا حظي وافدٍ من علوم اللسان العربي كثير الإنشاد لشواهد شعري حبيب والمتنبي والإيراد للحكايات والأخبار تنشيطا لطلبة العلم بمجلسه».[١١١]

ونقدر أن أبا بحر حين احتفل في نصوص الرشديه بالإكثار من التلميحات الأدبية كان يقصد إظهار محفوظه وإمتاع أستاذه.

ومن تلاميذ بن رشد الأوفياء القاسم ابن الطيلسان وله ترجمة طويلة عند ابن عبدالملك المراكشي، فقد ظل - فيما نقل عنه - يذكر أستاذه بكل خير وظل على صلة طيبة بأولاده، ومنهم أبو القاسم الذي عده ابن الطيلسان من شيوخه وعند نقل ابن الأبار ترجمته.

وقد كان ابن الطيلسان هذا من العلماء الصالحين، وترك تآليف في الحديث وتراجم الصالحين[١١٢] ومنهم أبو الحسن سهل بن مالك[١١٣] وهو ماجد أصيل، وعالم جليل، وشهرته معروفة، وفيه يقول بعضهم:

وصـــفـــوا بـــالـــفـــاضـــل قـــومـــاً
وهُـــم لـــيـــســـوا هـــنـــالـــك
كـــثـــر الـــوصـــف ولـــكـــن
صـــحّ عـــن ســـهـــل بـــن مـــالـــك

وهو من تلاميذ ابن رشد الذين ظلوا أوفياء له، فقد رثاه بقصيدة جميلة ومما جاء فيها قوله:

ولـــم أدرِ مـــن أشـــقـــى الـــثـــلاثـــة بـــعـــده
أأبْـــنـــاؤه أم دهـــرُه أمْ صَـــديـــقُـــه

كما كتب رسالة بليغة في تعزية أولاد بن رشد أوردها ابن الخطيب في الإحاطة مع القصيدة المشار إليها ولا يتسع المجال هنا لتحليلها.[١١٤]

ومنهم أبو محمد عبدالله بن حوط الله المالقي الذي كان أستاذاً لأولاد المنصور.

ومنهم الناصر الذي أصبح خليفة وكان من شيوخ العصر وقضاته، وله تآليف عديدة في الحديث ومصطلحه ورجاله، وله كتاب في الفقه بناه على إيراد الأقوال، ومعنى هذا أنه كان من أصحاب الفروع الذين أنتقدهم ابن رشد، وكان قد درس على يد أبي الوليد في قرطبة، ولكنه عفا الله عنه كان ممن ازورّوا عنه، قال ابن الزبير: رأيت بِسَتْر اسمه (أي اسم بن رشد) متى وقع للقاضي أبي محمد بن حوط الله إسناد عنه، إذ كان قد أخذ عنه»[١١٥]

ومنهم عبدالكبير العافقي ٥٣٦ هـ - ٦١٧ هـ) الذي كان متبحراً في الفقه وعارفاً بالطب، ومن تآليفه «الجمع بين تفسيري الزمخشري وابن عطية» وقد تكلم ابن عبدالملك على صلته بابن رشد فقال: «واتصل بالقاضي أبي الوليد بن رشد أيام قضائه بقرطبة واختص به

وحظي عنده فاستكتبه واستقضاه في بعض جهات قرطبة واستنابه في الأحكام بقرطبة» ثم قال:

«وكان صديقاً للحاج أبي بكر بن علي وللفقيه أبو الحسن بن زرموه، فكانوا متلازمين أبداً للمذاكرة»

ومنهم أبو القاسم عبدالرحيم بن إبراهيم بن الفرس الغرناطي. وأبو القاسم عبدالرحيم بن عيسى بن الملجوم الفاسي، وأبو الربيع سلمان بن سالم العالم الشهير المعروف، وأبو عامر نذير بن وهب ابن نذير البلنسي، وهو فقيه أديب يقول عن ابن الأبار «كان قائماً على كتاب الكامل للمبرّد، كثيراً ما سمعته يورد أشعاره ويسرد من حفظه أخباره»، وقد ولي قضاء دانية ٥٥٨هـ - ٦٣٦ هـ.

ومنهم أبو القاسم الجَزَري عبدالرحمن بن أبي الحسن علي ولد الجَزَري صاحب الوثائق. أخذ عن أبي الوليد بن رشد الحفيد كتابه المسمى بالنهاية، وعبدالرحمن بن أحمد ابن القصير الغرناطي روي عن أبي الوليد بن رشد.

ولا نعرف الآن كيف كانت صلة هؤلاء بابن رشد، كما لا نعرف شيئاً عن موقفهم خلال المحنة. ونظن بهد هذا أن أولاد ابن رشد وبعض تلاميذه هم الذين قاموا بجمع تراثه العلمي الضخم ووقفوا على نسخه وتداوله، وكان من ذلك النسخ التي وصلت إلينا ومعظمها بالخط الأندلسي المغربي.

كما أن وجود نسخ منها مدونة بالحروف العبرية يدل إمّا على أنه كان لابن رشد تلاميذ من إليهود أو أن تآليف ابن رشد كأنت متداولة بين الجميع بعد وفاته.

وبعد، فإن سيرة ابن رشد في حاجة إلى أن تكتب بدقة وتفصيل على ضوء ما يوجد من نصوص وعلى ضوء الاستقراء التام للإشارات المتعلقة بسيرته وحياته في جميع تآليفه.

القسم الثاني

النصوص

أبو بحر صفوان بن إدريس التجيبي يدافع عن ابن رشد

وكتب يرد على بعض أهل أشبيلية[١] وقد كتب ينقد على القاضي أبي الوليد[٢] بعض أحكامه.

(أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون) (وكبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لاتفلعون).[٣].

أجل أيها الجاري في ميدان الهذيان ملء عنانه[٤]، والمُقَعْقِعُ لمن ليس من جمال بني أُقَيشٍ بِشِنانِه[٥]، الساكت ألفا، الناطق خلفا[٦] الذي تبدل من نصيب خصيب، ومتاع ذي إمتاع، بحظ فظ، وسهم جهم[٧]، وبراقش بجهلها، دلّتْ على أهلها[٨]، والدريص أضل نفقه[٩]، فلا أرشده الله ولا وفقه.

أما بعد حمد الله وان كنت لم تجر له في رقعتك ذكرا، والصلاة على محمد نبيه الكريم وربما لم تعمل فيها فكرا، والرضا عن الإمام المهدي ولا أدري لم نبذته ظِهْرِيّا[١٠]، والدعاء لخلفائه الراشدين وما اقتنيت منه أثاثا ولارِيّا[١١]، حسبك أن جئت بفصل[١٢] فسل، وسفر صفر، آوعبت به الشر في زادك[١٣]، ونبهت على صفر مزادك، وأوردت الهذيان نسقا، وكنت كمن أساء رعيا فسقى[١٤].

فالحمد لله الذي ربأ بقدر الحمد والصلاة والرضا والدعاء، عن أن يدنسها دَرَنُ ذلك الوعاء، وتبا لها من رقعة[١٥] أرهقتك من أمرك

عسرا، «وكان عاقبة أمرها خسرا»[١٦]، فدعنا من أمر عبيد[١٧]، وخلافه لشِيَم عمرو بن عبيد[١٨]، وانظر إلى وفاقك لشيم ابن قُريعة وابنِ عبيد[١٩]، جعجعت وما طحنت،[٢٠] وتخيلت أنك تعرب من حيث لحنت، وجئت بتقسيم وتفصيل، كلاهما لايرجع إلى روية ولا تحصيل، أما ما وقع عليه إصفاق ذلك الفريق وإجماعه،[٢١] فحسبك من شر سماعه.[٢٢] ليت شعري ماذا على الحق من قوم أبدوا عنادا[٢٣]، وأوروا في تلهب الشمس زنادا[٢٤]، تعسا لهم هلا التزموا الاقتصاد، وعلموا أن العنقاء تكبر أن تصاد[٢٥]، وتركوا الأخذ في أسلوب التعليل، ودروا أن النهار لا يحتاج إلى الدليل[٢٦] أللقاضي أبي الوليد يعرضون، ولأحكامه الشرعية يعترضون؟! وهل ذلك فيما اقتضى حقيقة النظر، إلا كما تعاطى الفرزدق مساجلة الأخضر[٢٧]، والحر لا يرمى به الرجوان[٢٨]، وعَرار لايراد بالهوان[٢٩]، من عاش رجبا، رأى عجبا[٣٠]، كيف يُجارَى البرق بسُكيت يحجل في قيد الفشل [٣١]، أو يكاثَر ماءُ البحر بصُبابة الوَشَل[٣٢]، أم كيف يُرَوَّع الأسد بِفَزٍّ الغيطلة[٣٣] أو تفاخر زمزم بالبير المعطلة [٣٤]، وأما الذين جالوا في تصريح صريح، وتعريض عريض، فتلك ضريبة مريبة[٣٥].

فبرَّأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها[٣٦]، الحق أبلج، والباطل لجلج[٣٧]، وفي الصباح يجن الظلام ويكفر[٣٧]، ﴿**فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر**﴾[٣٩]، وأما أنت يا من ينتحل هذيان البعير، ويفتل في الذروة والغارب وليس له بعير [٤٠]، فقد جئت في نقض تلك الثلاث مسائل بفصول، لا عن فروع أخذت ولا من أصول، فكنت في ذلك كأبي حنيفة أو زفر[٤١]، الذي أجاز الوضوء بالبيد في السفر[٤٢]، لا ماءك أبقيت، ولادرنك أنقيت[٤٣]، بفيك الكثكث[٤٤]، ما لحجاجك ينتكث، هلا أفصحت بالحق وبرهنت عليه، أم أنت من الذين قالوا: «قلوبنا في أكفه مما تدعونا إليه»[٤٥]، وقد ادعيت أنك

حططت رحلك ليلا، والنوم يسحب على جفونك ذيلا، فلو أني حملتك على صدق الكلام، لثنيت عنك أعِنّة الملام، وأخذت بما ورد في صحيح المسنون، من رفع القلم عن النائم والصبي والمجنون[٤٦]، ولقلت لعله إنما كتب ذلك التخليط في المنام، فارتقى أُتْمَكَ[٤٧] غارب من الهذيان وسنام، وجعجع[٤٨] على الشمال واليمين، (وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين) [٤٩] لكنّي أنسبك لشيء من صدق المقال، ولا أعبأ بما هنالك من القيل والقال، فأنّى لك بالإعفاء، من هذيان ذلك الإغفاء، أم بالإقالة من هذر تلك المقالة، لكن خذها على ظهر الغيب، وبؤ بشسْع نعل كليب[٥٠]، وإن شئت فكن ممن اشتمل ببرود ذلك المذهب[٥١] الفسل وارتدى، (فستعلمون من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى) [٥٢] والسلام على من اتبع الهدى[٥٣].

* * *

٢ - «وسافرت من قرطبة عجلا فلم يتمكن لي السلام على القاضي أبي الوليد[٥٤] فكتبت إليه من الجزيرة الخضراء[٥٥] بقولي:

إلى مثل لقياكم تُزَمُّ الركائب

ونحوكمُ تحدى القلاص السلاهب[٥٦]

ونوركمُ يجلو الغياهب عندما

تقيِّدُ أبناءَ السبيل الغياهب[٥٧]

ويثني عليك الركب ما أنت أهله

وتثني المطايا تحتهم والحقائب[٥٨]

وأنت إمام العلم غير منازَع

وكشْبك في أهل الضلال كتائب[٥٩]

ومـا ضـر قـطـرا أنـت فـيـه مـبـرز
على الغيث أن لاتنتحيه السحائب[٦٠]
بـكـفـكـم والـلـه يـكـلأ حـفـظـهـا
مـنـافـع تـزري بـالـحَـيَـا ومـشـارب[٦١]
وفي حكمك الفصل المنزه يستوي
بـعـيـد ودان أو عـدو وصـاحـب
إذا انفصل الخصمان من عندك ارتضى
بحكمك مطلوب هناك وطالب
وأفصح بالشكر الجزيل كلاهما
كأن كلا الخصمين عندك غالب
وكان اختياري أن أفوز بقربكم
فتُدرك آمال وتُقضى مآرب
فكنت على حين الديار بعيدة
وللشوق مني والمحبة جانب
أحن إليكم كلما مر راكب
وكلي حنان كلما مر راكب
فلما أتاح الله لي قرب داركم
دعتني إلى زم القلاص النوائب[٦٢]
وخاصمني فيكم فراق عهدته
يطا عن من دون المنى ويضارب
فبنت ولما أقض حق وداعكم
وياشد ما ضاقت علي المذاهب

ومـا عـاقـنـي إلا انـحـفـاز بـسـجـرة[٦٣]

أجـابـت بـه دعـوى الـحـداة الـنـجـائـب[٦٤]

بـلـيـل كـقـلـبـي إذ حـرمـت وداعـكـم

وغـيـث كـدمـعـي مـسـتـهـل وسـاكـب

فـإن تـسـألـونـي بـالـزمـان وصـرفـه

فـعـنـدي مـن ذم الـزمـان عـجـائـب

مقامة أنشأتها بقرطبة أمدحه بها وبنيه[٦٥].

قال لسان البشائر أبو العشائر[٦٦]، لم أزل منذ أينعت[٦٧] رياض شبابي ، وارتفعت بيفاع[٦٨] الفهم قبابي، أهيم بصناعة الأدب هيمان[٦٩] قيس بليلى، وأشمر[٧٠] في اقتناء بضاعته ذيلا، وأدّرع ليلا[٧١]، فكنت أستسكب المنسجم والجهام[٧٢]، وأجرب المصمّم والكَهام[٧٣]، وأراه أنفس الذخائر الأخائر[٧٤]، وأثمن الأعلاق[٧٥]، على الإطلاق، فملأت إنائي، من اعتنائي، ووزعت اجتهادي، في أرض سهادي[٧٦]، إلى أن تعلقت بأهداب الآداب[٧٧]، وتمسكت بأطناب الإطناب[٧٨]، وارتديت بشعار الأشعار، واقتنيت ماشئت من دثار النثار[٧٩]، وتركت أترابي[٨٠]، يُعْشهم ترابي[٨١]، وأصحابي يشيمون برق سحابي[٨٢]، ونبهاء قُطري ، يستسقون قَطري[٨٣]، فعلى تلك من حال، سمعت بالحل والترحال، ونمت إلا عن شَدّ الرِّحال، وتُقْتُ[٨٤] إلى أن أفري للغربة أديما.[٨٥] واشتقت إلى أن أختبر قول القائل قديما:

تـغـرب عـن الأوطـان فـي طـلـب الـعـلـى

وسـافـر فـفـي الأسـفـار خـمـس فـوائـد

تـفـرج هـم واكـتـسـاب مـعـيـشـة

وعـلـم وآداب وصـحـبـة مـاجـد[٨٦]

فأنضيت[٨٧] ركاب عزمي، واقتضيت ديون حزمي، وسرت لا أنفصل عن الكور[٨٨]، ولا أصل على غيره الرواح والبكور، ولا أكتحل هجوعا[٨٩]، ولا أرتحل عن مُعَرَّس[٩٠] فأنوي إليه رجوعا، فبينا أنا أحتنك درة الجمال[٩١]، لبلوغ الآمال، وأسلك الثنيات[٩٢]، بالأمنيات، إذ أشرفت من بعض الشعاب[٩٣] على واد ناضر الخمائل، تتفيأ ظلاله[٩٤] عن اليمين والشمائل، فهزني إليه حب المَقِيل[٩٥]، هز الكمي للصارم الصقيل[٩٦]، فانحدرت إلى خصبه، انحدار الأيم إلى لصبه[٩٧]، فلم تعد أن حاصت أجفاني فيه سنة محسنة[٩٨]، وإغفاءة تقصر عن نعت لذتها الألسنة[٩٩]، وكحلتها نومة مؤتمنة، ونعاس غشيتني منه أمنة[١٠٠]، فخيل لي فيما يرى النائم شخص قد تزمل ببرديه [١٠٠م] وتوسد من أرطى ذلك الوادي أبرديه، وهويترنم بما تصبو إليه الطباع [١٠١م]، وينبو إلا عنه الضباع، وأنشد:

أقـسـم بـالـمـبـسـم الـبَـرود[١٠٢]

والـغـصـن الـلـدن فـي الـبُـرود[١٠٣]

اسـتـغـفـر الـلـه لـسـت الا

أقـسـم بـالـواحـد الـمـجـيـد

مـاسـيـد الـعـالـمـيـن طـرا

إلا ابـن رشـد أبـو الـوليـد

حـب بـه الـمـجـد والـمـعـالـي

والـديـن والـعـلـم ـ فـي سـعـود

رتبته في الصعود دأبا
ومن يضاهيه في الصعيد[١٠٤]
تشهد سيماه[١٠٥] للبرايا
بأنه نكتة الوجود
أول ما هام فيه فضل
له به لوعة العميد[١٠٦]
وعلم دين به تسامى
يأوي إلى ركنه الشديد[١٠٧]
علم وإن شئت قل علوم
بحارها عذبة الورود
قيدت الفتك في حماها
وافتكت الدين من قيود[١٠٨]
برهانها الحق في المعاني
تقبله فطرة البليد
إلى قضاء في الناس فصل[١٠٩]
يثني عليه فم الحسود
سمت به في العلا جدود[١١٠]
ما أشبه النجل بالجدود
من كل ضخم الندى خضم
على السنا ملجإ الطريد[١١١]
ذو المنهل الفذ للقوافي
والمنزل الرحب للوفود

مـا فـوقـهـم فـي الـعـلـى مـزيـد

وهـل عـلـى الـنـجـم مـن مـزيـد

وهـاكـهـا أي سـمـط در

صـيـغ ولـكـن لأي جـيـد

أي جيد مجيد، وناهيك من لَبَّة[١١٢] عاطرة الهبة[١١٣]، وحسبك من نفحة ذكية[١١٤] الصفحة[١١٥]، شرف تعنو عزة كليب لمذاله[١١٦]، ويرنو إليه النجم واضعا كفه على قذاله[١١٧]، وعلاء يتحير فيه الوهم ويستريب، ومكانة لو حل فيها النجم[١١٨] لقيل إنه غريب، إلى سمت ووقار، لو سريا في العقار، لسكّنا سورة العقار[١١٩]، وراحة كما انساب ماء السيوب[١٢٠]، وسماحة تلقى الناس بذهن أبي أيوب[١٢١]، إلى حلم لاتلقى لحسناته خطايا، وعلم تضرب إليه أكباد المطايا[١٢٢]، قيد حدود الأعراض والجواهر، وأحاط بنظره العقلي وتدبيره الباهر، بهيئة دوران الأفلاك ومجاري نجومها الزواهر[١٢٣]، وأشرف على أسرار الوجود، فاعترف أن الله لا إله إلا هو بارئ كل موجود، وأتبع في علمه وعمله الدلو الرشاء[١٢٤]، «ذلك فضل الله يوتيه من يشاء»[١٢٥] وبرأه الله طاهر الذيل والجيب، وجعله من الذين يخشون ربهم بالغيب[١٢٦] وجمل به وجه الهدى وحسنه، حين خلقه من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه[١٢٧]، وجعل لسيوف ذهنه في مضارب الغوامض تأثيرا، وآتاه الحكمة (ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا)[١٢٨]، فوف زهر علم الكتاب في جنابه، إذ هو من الراسخين في العلم الذين يقولون آمنا به[١٢٩]، وأخذ الثنايا على بطليموس والاسكندر وأرسطو[١٣٠]، واشتمل على كل ما قبضوا من العلوم وبسطوا[١٣١]، فبصناعته النظرية تخضد شوكة التعطيل وببضاعته الدينية تدحض حجج الأباطيل[١٣٢]، إلى معرفة بالشريعة، مشرفة ربوتها المَريعة[١٣٣]، يجمع بهما في المورد بين الشبل

والسخل[١٣٤]، ويصدع بحكم الله، ودع ما تدعيه كرب النخل[١٣٥]، إلى انخراط في سلك جالينوس وبقراط[١٣٦]، سالك من إصابة المحز وتطبيق المفصل على أوضح سراط[١٣٧]، من رجل حسرت به وجوه الشرائع والطبائع عن القناع، وابتدرت من قوانينه تَلُثُّها[١٣٨] يد صناع، إلى مجد لا يجاريه، من كأنت على قمة الجوزاء مجاريه، وورع لايعارضه من انْهَلَّ بالنسك عارضه[١٣٩]، وانقباض عن الدنيا لايساجله، من طفحت بأمواه الخشية مراجله[١٤٠]، إلى مشاركة كالغيث تعم القيعان[١٤١] والأكم، وسياسة يؤتى في بيتها الحكم[١٤٢]، فقلما تعلق أحد بأردانه[١٤٣]، أو اتسق في سمط أخدانه[١٤٤]، فتخبط للزمان، في شَرَك الامتحان،[١٤٥] أو سقط العشاء به على سرحان[١٤٦]:

لـولا عـجـائـب صـنـع الـلـه مـا نـبـتـت

تـلـك الـفـضـائـل فـي لـحـم ولا عـصـب[١٤٧]

وكأني بين يدي علاه أثني بما أعتقد ، وأصرح بما تنثني عنه أعنة المنتقد، ثم أنشد:

سـمـوتَ إلـى الـعـلـيـاء بـالاب والـجـد

وسـارت بـك الأمـثـال فـي الـغـوروا لـنـجـد

فـفـي كـل شِـعْـب مـن ثـنـائـك نـفـحـة

وفـي كـل واد مـن حـلاك بـنـو سـعـد[١٤٨]

ومرآك في العينين أبهى من المنى[١٤٩]

وذكـرك فـي الـفـكـيـن أشـهـى مـن الـشـهـد

وكـل بـنـي رشـد سـمـا غـيـر أنـه

سبقت بني رشد وغيربني رشد[١٥٠]

بـك اشـتـد أزر الـخَـلْـق بـعـد انـحـلالـه

وأصـبـح جـيـد الـحـق مـنـتـظـم الـعـقـد

تـداركـت ركـن الـعـلـم مـن بـعـد مـا هـوى

وأظـهـرت صـبـح الـعـدل فـي الـظُّـلَـم الـرُّبـد[١٥١]

وأبـنـاؤك الـغـر الـذيـن تـجـاوزوا[١٥٢]

مـدى الـعـزة الـقـعـسـاء والـجـود والـجـد

ثـلاث أنـاف[١٥٣] لـلـسـمـاحـة والـنـدى

ومـا ضـرنـي إن قـلـت لـلـعـلـم والـمـجـد

ذوو أوجـــه غـــر وأيـــد كـــريـــمـــة

ومـــعـــرفـــة عـــد وألـــسـنـــة لـــد[١٥٤]

فلما فرغ من أبياته، أو آياته، انبريت إلى افتتاح استفهامه، وبريت ورشت[١٥٥] في استيضاح إبهامه، فقلت له: يرحمك الله الحديث ذو شجون[١٥٦]، ولمكنونه في الصدر سجون، وقد أسديت هذه اليد البيضاء إلينا (فأوف لنا الكيل وتصدق علينا)[١٥٧] (وعد إلى الحديث) والعود أحمد، ولو طال بنا الأمد، فقال: سل عما شئت من قبيل أو دبير[١٥٨]، فلا ينبئك مثل خبير[١٥٩]، فقلت له: إنك من المحسنين، لولا ما قصرت في وصف البنين، فأطرق إطراق تحير، وصمت صمت تذكر ، لاصمت تنكر، ثم قال: أما ما شئت من وصف بنيه، فإنهم جاءوا على وفق تمنيه، هم في السؤدد ما هم، «تعرفهم بسيماهم»[١٦٠]:

لـو كـان يـقـعـد فـوق الـشـمـس مـن أحـد

قـوم بـأولـهـم أو مـجـدهـم قـعـدوا[١٦١]

أسنى من دبَّ ودرج، وحدث عن البحر ولاحرج،[١٦٢] رموا فقرطسوا[١٦٣] النجابة، ودعتهم الفضائل فأحسنوا سمعا وإجابة[١٦٤]، تعارفوا مع المحاسن فائتلفوا، وتناكروا مع نقائضها فاختلفوا[١٦٤م]، وتلقوا راية المجد باليمين[١٦٥]، واقتنوا ما هناك من علق ثمين، وجالوا في ميدان المكارم كل مجال، فدعنا من حُنْدج[١٦٦] ولوائه بين الرجال، وطال بهم السرور والاغتباط، فلا يذكر بمنقبة رباط[١٦٧]، سادوا وما خلت الديار[١٦٨]، وجاءوا كما تمنى الاختيار:

أولـئـك قـوم إن بـنـوا أو ثـقـوا الـبـنـى

وإن عـاهـدوا أوفـوا وإن عـقـدوا شـدوا[١٦٩]

ثلاثة كالظل والماء والنسيم، وكمثل الجوزاء في الرفعة والتقسيم، فلا تعبأ معهم بتكاثر سعد ولاجذام[١٧٠]، وخذ القول من حذام[١٧١]:

مـا مـنـهـمُ إلا مـردَّى بـالـحـجـا

أو مـشـرب بـالأحـوذيـة مـؤدم[١٧٢]

أما أبو القاسم[١٧٣] فأخذ العلى بيمينه وشماله، وهبت أنفاس المكارم من جنوبه وشماله، وزاحم في الطلب بعود[١٧٤]، وفاز منه بالقدح المعلى[١٧٥] في البدء والعود[١٧٦]، وعلق بالفضل علاقة لاتقلص[١٧٧] ظلالها، بطئ على مر الشهور انحلالها[١٧٨]، واتخذ في مقر السيادة[١٧٩] مصيفا ومربعا، وقاس فيها ذراعا كلما قاس غيره إصبعا[١٨٠]، وصبا إلى علم مالك[١٨١]، وأربى في الفتيان على مالك[١٨٢]، وأمطر سحابه وبلا، ويسر لكل بعير جاء طالبه حبلا[١٨٣]:

إن كـــان لايـــدعـــى الـــفـــتـــى إلا كـــذا

رجـلا فـسـم الـنـاس طـرا إصـبـعـا[١٨٤]

وأما أبو الحسن[١٨٥] فجاء على كل الأمل، ولم يعط لغيره من ناقة في العلاء ولاجمل[١٨٦]، نهض لديه بازي المعارف بجناح[١٨٧]، وأخذ معتفيه ما شاء من السماح، وارتعى في الروض الوارف من الصلاح وسعى إلى هيجاء الذكاء والفهم بسلاح[١٨٨]، إلى سماح، لو باراه الغيم لباء بما باءت به من خضرة جلودها تميم[١٨٩]، وحصل على ما حصلت عليه بجانب الثرثار عامر وسليم[١٩٠]، من فتى نفحت منه المعارف في ضرم[١٩١]، واشتهر بها اشتهار ربيعة بوادي الأخرَم[١٩٢]، وأخجل بنداه نوء المرزم[١٩٣]، ومن رام الحقيقة فليقل شنشنة أعرفها من اخزم[١٩٤]:

ورث الـــســـيـــادة كـــابـــرا عـــن كـــابـــر

كـالـسـيـف أنـبـوبـا عـلـى أنـبـوب[١٩٥]

.....

.....

[١٩٦] .....

حواشي النصوص

(١) لم نتمكن من الوقوف على ما يعين معرفة هذا الأشبيلي، ويمكن أن يكون عبد الكبير الغافقي الذي كان مع ابن رشد أيام قضائه بقرطبة، وحظي عنده فاستكتبه واستقضاه بجهات قرطبة ولكنه انفصل عنه لما بدت نذر المحنة وذهب إلى إشبيلية ثم عين قاضيا في رندة، ونعتمد في هذا التخمين على قوله الآتي: «تبدل من نصيب، خصيب ومتاع، ذي إمتاع، بحظ، فظ، وسهم، جهم «انظر في عبد الكبير المذكور الذيل والتكملة ٦ : ٢٨، ٢٩ والتكملة رقم ١٨٢١ وصلة الصلة رقم ٦٩.

(٢) يستفاد من بعض تآليف ابن رشد أنه كان قاضيا في أشبيلية من سنة ٥٦٥هـ إلى سنة ٥٦٧ هـ ولكننا لانعرف من عينه فيها ولا متى عين بها.

(٣) سورة البقرة: ٤٤، ثم الآية ٣ من سورة الصف.

(٤) تذكرنا هذه البداية بأول الرسالة الهزلية لابن زيدون وهو: أيها المصاب بعقله، المورط بجهله.

(٥ ـ هذا من بيت أنشده سيبويه في الكتاب:

كأنك من جمال بني أقيش يُقَعْقَعُ خلف رجليه بِشَنِّ

وهو من قطعة نسبت إلى النابغة الجعدي. وجمال بني أقيش غير عتاق تنفر من كل شيء، وهي منسوبة إلى حي من الجن يقال لهم بنو أقيش، وقد ورد ذكرهم في السيرة في حديث بيعة الأنصار، والمقصود من العبارة أن أبا الوليد ما يقعقع له بالشنان كما يقول المثل، أي أنه لايُرَوَّع ولايفزع، والشِّنان جمع شَنّ وهو الجلد اليابس يحرك للبعير ليفزع. تاج العروس.

(٦) هذا من المثل المعروف: سكت ألفا ونطق خلفا أي سكت ألف سكتة ثم تكلم بخطأ، الميداني.

(٧) في هذه السجعات شيء يستدل به على الشخص المنتقد الذي هو عبدالكبير الغافقي تلميذ ابن رشد الذي لم ينل من تقوله في أستاذه ابن رشد ومفارقته إياه سوى ولايته قاضيا في رنده التي لم تكن ذات بال.

(٨) هذا تصرف في مثل معروف هو: على أهلها تجني براقش أو على أهلها دلت براقش، وبراقش قيل إنها اسم كلبة وقيل غير ذلك والمثل يقال فيمن يعمل عملا يرجع ضرره عليه. الميداني وتاج العروس.

(٩) هذا مثل آخر هو: ضل دريص نفقه أو ضل الدريص نفقه، والدريص بالتصغير ولد القنفذ والأرنب والجربوع وما أشبه ذلك، والمثل يضرب لمن أخطأ حجته، الميداني وتاج العروس.

(١٠) من العبارة القرآنية: «واتخذتموه وراءكم ظهريا»، سورة هود ٩٢.

(١١) ـ من العبارة القرآنية: «وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورئيا» سورة مريم ٧٤، وأثبتها أبو بحر على قراءته، وهي قراءة نافع «رِيًّا». وكأني بأبي بحر هنا يستعدي الموحدين على هذا الذي استعداهم على ابن رشد.

(١٢) لانعلم إلى أي حد يعتمد على كلمته «الفصل والسِّفر» في تقدير حجم الأنتقاد المتحدث عنه.

(١٣) هذا من قول الشاعر المتمثل به:

الخير يبقى وإن طال الزمان به ... والشر أخبث ما أوْعبْتَ من زاد

الميداني.

(١٤) أساء رعيا فسقى، مثل يضرب للرجل لا يحكم الأمر ثم يريد إصلاحه فيزيده فسادا. الميداني.

(١٥) أسماها قبل فصلا وسفرا.

(١٦) الطلاق: ٩ .

(١٧) يقصد عبيد بن باب والد عمرو بن عبيد المتكلم الزاهد المشهور.

(١٨) هو عمرو بن عبيد المذكور آنفا. كان والده شرطيا وكان ولده عمرو عالما زاهدا فكان الناس إذا رأوا عمرا مع أبيه قالوا: هذا خير الناس ابن شر الناس، فيقول أبوه: صدقتم، هذا إبراهيم وأنا آزر، انظر ترجمته ومراجعها في وفيات الأعيان ٣: ٤٦٠ ـ ٤٦٢ .

(١٩) ابن قريعة (في الأصل قزعة) هو القاضي أبو بكر محمد بن عبدالرحمن المعروف بابن قريعة البغدادي ولاه القاضي أبو السائب عتبة بن عبيد على السندية وهي قرية من أعمال بغداد، انظر وفيات الأعيان ٤ : ٣٨٢ والمصادر المحال عليها هناك، وهذا التشبيهان يؤكدان ما حدسته في البداية من أن الأشبيلي الذي يرد عليه أبو بحر هو عبدالكبير الغافقي الذي تنكر لشيخه وولي نعمته، ولما خرج على شيخه شبه حاله مع شيخه بحال عمرو بن عبيد مع أبيه وبأنه خالف شيخه ابن رشد بسبب شهرته بالفلسفة كما خالف عمرو والده عبيداً وسار في غير طريقه. أما أبو بحر فيرد عليه بأن الصواب في الأمر هو تشبيه حالهما بحال القاضي أبي السائب مع نائبه في القضاء على السندية الذي كانت خسة مسائله تمنع من ذكرها.

(٢٠) هذا من المثل المعروف : أسمع جعجعة ولا أرى طحنا، يضرب للجبان يوعد ولا يوقع، وللبخيل يعد ولا ينجز، وللذي يكثر الكلام ولا يعمل. القاموس وتاج العروس.

(٢١) لا نعرف إلى أي فريق وإجماع يشير.

(٢٢) مثل معروف ومعناه: اكتف من الشر بسماعه ولا تعاينه. يضرب عند العار والمقالة السيئة وما يخاف منها. الميداني.

(٢٣) لا نعرف من هم هؤلاء القوم ولا في أي شيء كانوا يعاندون، وكل ما نعرف أن أبا بحر يتحدث عن خصوم لأبي الوليد ابن رشد.

(٢٤) أي يوقد النار في شدة الحر.

(٢٥) يشير إلى قول أبي العلاء المعري:

أرى العنقاء تكبر أن تصادا فعاند من تطيق له عنادا

(٢٦) يشير إلى قول أبي الطيب المتنبي:

وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

(٢٧) الأخضر هو الفضل بن العباس بن عتبة اللَّهَبيّ، وهو القائل:

وأنا الأخضر من يعرفني أخضر الجلدة في بيت العرب

من يساجلني يساجل ماجدا يملأ الدلو إلى عقد الكرب

ومساجلته للفرزدق مذكورة في كتب الأدب.

(٢٨) جاء في الأساس : وفي مثل «لا يرمي به الرجوان» لم يخدع فيزال عن وجه إلى وجه، وأصله الدلو يرمى بها رجوا البئر، قال زهير:

مطوت بدفن الأرض حتى كأنه أخو سبب يرمى به الرجوان

(٢٩) عرار بفتح العين هو ولد عمر بن شأس الأسدي وفيه يقول والده المذكور:

أرادت عرارا بالهوان ومن يرد عرارا لعمري بالهوان فقد ظَلَمْ

فإن عرارا إن يكن غير واضح فإني أحب الجَوْن ذا المنكب الْعَمَمْ

(٣٠) هذا من المثل المعروف: عش رجبا، تر عجبا.

(٣١) السكيت بتخفيف الكاف وتشديدها هو الفرس الذي يجيء في آخر الحلبة.

(٣٢) صبابة الوشل: بقية الماء القليل جدا.

(٣٣) الغيطلة: البقرة الوحشية، والفَرُّ: ولدها، سمي كذلك لما فيه من عدم السكون والفرار. القاموس والتاج.

(٣٤) البير المعطلة هي التي ورد ذكرها في سورة الحج، الآية ٤٥.

(٣٥) محو بمقدار سطر لا يقرأ.

(٣٦) سورة الأحزاب : ٦٩ .

(٣٧) هذا مثل معروف.

(٣٨) يكفر: يستر، وجن الظلام هي كقول الشاعر: حتى إذا جن الظلام واختلط

(٣٩) سورة الكهف: ٢٩.

(٤٠) هذه السجعة ممحوة في الأصل، وهذا مجرد ترميم لها ولست متأكداً منها تماماً وإذا صحت فلعل أبا بحر يشير بها إلى قول شاعر يهجو أحد بني البعير: يقولون أبناء البعير وما لنعم.

(٤١) أبو حنيفة هو الإمام النعمان المعروف وزفر صاحبه.

(٤٢) ذكر هذه المسألة أبو الوليد في بداية المجتهد.

(٤٣) هذا مثل أورده الميداني وغيره وله قصة مذكورة في كتب الأمثال.

(٤٤) الكثكث: التراب، وهذه عبارة تقال في الدعاء على الشخص.
(٤٥) سورة فصلت: ٥ .
(٤٦) إشارة إلى الحديث: رفع القلم عن ثلاثة.
(٤٧) أتمك: أرفع.
(٤٨) الجعجعة: بروى البعير والقعود على غير طمأنينة.
(٤٩) سورة يوسف: ٤٤ .
(٥٠) هذا مثل قاله مهلهل لما طعن بجير بن عمرو وكان من أسباب حرب البسوس.
(٥١) لعله يقصد مذهب المتكلمين الذي كان عليه بنو الأشعري خصوم ابن رشد.
(٥٢) سورة طه: ٤٧.
(٥٣) سورة. . .
(٥٤) هو أبو الوليد ابن رشد الحفيد وقد كان أبو بحر يزوره في قرطبة لأنه أستاذه وأستاذ خاله وصديق الأسرة.
(٥٥) نظن أن أبا بحر كان في الجزيرة الخضراء عند خاله الذي كان قاضيا فيها، وقد صاحب فيها أحد أبناء أعيانها هو أبو عمرو بن حسون وبينهما مخاطبات نثرية ومحاوبات شعرية. انظر التكملة رقم ٨٨٣ وزاد المسافر: ١٨، ١٩، ٤٣ والعطاء الجزيل مخطوط.
(٥٦) تزم الركائب أي تقاد للرحيل والقلاص جمع قلوص، وهي الشابة من الإبل، والسلاهب جمع سلهب وهو الطويل.
(٥٧) الغياهب جمع غيهب وهي الظلمة.
(٥٨) هذا من قول الشاعر: ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب.
(٥٩) الكتائب جمع كتيبة يقول: كتبه تقوم مقام الجيوش .
(٦٠) تنتحيه تقصده وتذهب ناحيته، والسحائب: السحب يقول: إن جوده يفوق الغيث ويغني عنه.
(٦١) الحيا: المطر. وتزرى بالحيا: لا تعده شيئاً.
(٦٢) زم القلاص أي خطمها للرحيل.
(٦٣) أي أنه سافر في السحر على عجل.
(٦٤) النجائب جمع نجيبة وهي العتاق من الإبل التي يسابق عليها. أي أنه سافر في ليل حزين مظلم ممطر.
(٦٥) ذكر الذين ترجموا لأبي بحر أن له رسائل وأشعارا، ولم يشيروا إلى أن له مقامات. ومن المعروف أن الأندلسيين لهم حظ وافر في فن المقامات.
(٦٦) اسم بطل المقامة.
(٦٧) أينعت : نضجت.

(٦٨) اليفاع : ما ارتفع من الأرض.
(٦٩) هيمان : هيام.
(٧٠) شمر أذياله : تشمر واستعد للعمل.
(٧١) ادَّرَع الليل وادرع الخوف كلها من المجاز، وهذا وما قبله تصرف في المثل العربي : شمر ذيلا، وادرع ليلا، يضرب في الحث على التشمير والجد في الطلب. الميداني.
(٧٢) أستسكب : أستسقى، المنسجم : السحاب الممطر، والجهام : السحاب الذي لا ماء فيه.
(٧٣) المصمم : السيف القاطع، والكهام : الكليل.
(٧٤) الأخائر: جمع أخير، وهي للتفصيل.
(٧٥) الأعلاق: جمع علق، وهو النفيس من كل شيء.
(٧٦) السهاد : الأرق.
(٧٧) أهداب الثوب وغيره: ما يتدلى منه.
(٧٨) الأطناب : جمع طُنُب وهو حبل الخباء.
والإطناب خلاف الإيجاز.
(٧٩) الشعار : ما ولي الجسد من الثياب، والدثار : ما كان من الثياب فوق الشعار، وما هنا على سبيل المجاز.
(٨٠) الأتراب : الأقران واللدات.
(٨١) يعني أنه سبق أترابه وغبَّر في وجوههم، وللمتنبي في هذا المعنى:
إذا شاء أن يلهو بلحية أحمق أراه غباري ثم قال له الْحَقِ
(٨٢) شام البرق : نظر إليه وتطلع نحوه ببصره.
(٨٣) القُطر : البلد، والقَطر : المطر.
(٨٤) وتقت : اشتقت.
(٨٥) فرى الأديم : قطعة على جهة الاصلاح، والتعبير هنا على سبيل المجاز أي أنه أراد أن يختبر حال الغربة.
(٨٦) بيتان معروفان ولكني لم أتمكن وقت إعداد هذا النص من معرفة قائلهما.
(٨٧) أنضى الركائب بالأسفار : تركها مهزولة.
(٨٨) الكور : الرحل.
(٨٩) الهجوع : النوم ليلا.
(٩٠) المعرس : الموضع ينزل فيه القوم في السفر ليلا للاستراحة قليلا ثم يرتحلون.
(٩١) فقرة تحتاج إلى تأمل ومراجعة.
(٩٢) الثنيات جمع ثنية وهي طريق العقبة.
(٩٣) الشعاب جمع شِعب وهي الطريق في الجبل.

(٩٤) تتفيأ ظلاله أي تتقلب، وقد نظر إلى الآية ٤٨ من سورة النحل.
(٩٥) المقيل : موضع القيلولة أو الاستراحة في الظهيرة.
(٩٦) الكمى : الشجاع، والصارم : السيف.
(٩٧) الأيم : الحية الذكر، واللصب شق في الجبل.
(٩٨) حاصت أجفاني فيه أي ضاقت. والمعنى أنه أخذته سنة.
(٩٩) في لذة الأغفاء يقال : ألذ من إغفاءة الفجر.
(١٠٠) عبارة مقتبسة من الآية : «إذ يغشيكمُ النعاسَ أَمَنَةً منه». (الأنفال: ١١).
(١٠٠م) تزمل أي تدثر وتلفف. والبردان مثنى برد وهو ثوب مخطط.
(١٠١) الأرطى شجر من شجر الرمل، والأبردان: الظل والفيء، والكاتب يشير إلى قول الشماخ بن ضرار:

إذا الأرطى توسد أبرديه ... خدود جوازئ بالرمل عِينِ

(١٠١م) كذا في الأصل.
(١٠٢) البرود (بفتح الباء) : البارد.
(١٠٣) البرود(بضم الباء) جمع برد، وهو الثوب المخطط.
(١٠٤) الصعيد : وجه الأرض، والمعنى أنه لا يضاهيه أحد.
(١٠٥) السيما : العلامة، وفي القرآن الكريم : سيماهم في وجوههم» الفتح ٢٩.
(١٠٦) العميد : المحب، والمعنى أن الممدوح يتعشق الفضل والكمال.
(١٠٧) هذا من قوله تعالى : «قال لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد) سورة هود ٨٠.
وعلم الدين المذكور هو علم الفقه الذي أهل ابن رشد الحفيد للقضاء في أشبيلية وقرطبة.
(١٠٨) انظر إلى التلاعب بالألفاظ في قوله : قيدت الفتك، وافتكت القيود. ويبدو أن الشاعر يقصد بهذا البيت والذي بعده علوم الفلسفة التي عرف بها الممدوح.
(١٠٩) القضاء الفصل : الذي يفصل بين الحق والباطل.
(١١٠) الجدود المذكورون في ترجمة ابن رشد سبعة، وأشهرهم جده الأدنى كبير فقهاء وقته وقاضي الجماعة ابن رشد الجد.
(١١١) يقول في هذين البيتين إن جدود ابن رشد كانوا مقصودين من الشعراء يرحبون بالوافدين ويستقبلون الضيوف ويغيثون الملهوف.
(١١٢) اللبة : موضع القلادة.
(١١٣) الهبة : الرائحة.
(١١٤) الصفحة : صفحة الوجه.
(١١٥) أي طيبة الرائحة.
(١١٦) في الأمثال : أعز من كليب وائل. وتعنو: تخضع، والمذال: المهان.

(١١٧) القذال: مؤخر الرأس.
(١١٨) النجم هنا : الثريا.
(١١٩) العقار : الخمر وسورتها.
(١٢٠) السيوب جمع سيب وهي الأمطار.
(١٢١) أبو أيوب هو سليمان المورياني وزير أبي جعفر المنصور، يقال أنه كان له دهن طيب الرائحة يدهن به إذا ركب للقاء المنصور وكان الناس ينسبون غلبته على المنصور إلى دهنه ويرون أنه من عمل السحرة ثم ضرب به المثل فقيل للذي يغلب على الإنسان: معه دهن أبي أيوب.
انظر ثمار القلوب ووفيات الأعيان.
(١٢٢) المطايا جمع مطية، وتضرب إليه أكباد الابل أي أنه يرحل إليه للأخذ عنه.
(١٢٣) من المعروف أن ابن رشد كان يعنى ـ في جملة ما يعنى به ـ بالفلك، وقد أشار في تلخيص السماء والعالم وتلخيص الآثار العلوية إلى تعاطيه الرصد في قرطبة ومراكش وجبال الأطلس.
(١٢٤) هذا من المثل : أتبع الدلو رشاءها. ومعنى عبارة الكاتب أن ابن رشد جمع بين العلم والعمل.
(١٢٥) سورة الحديد : ٢١ .
(١٢٦) وردت في سور متعددة.
(١٢٧) سورة الزمر : ١٨ .
(١٢٨) سورة البقرة : ٢٦٩ .
(١٢٩) من الآية «والراسخون في العلم يقولون آمنا به» (آل عمران: ٧).
(١٣٠) أسماء لفلاسفة يونانيين معروفين.
(١٣١) يشير بهذه العبارة إلى تصرف ابن رشد في الفلسفة اليونانية لا سيما فلسفة أرسطو.
(١٣٢) يشير إلى جمعه بين الحكمة والشريعة.
(١٣٣) المريعة : المخصبة.
(١٣٤) الشبل ولد الأسد والسخل ولد النعجة.
(١٣٥) هذا من قول جرير:

أقِـول ولم أمـلـك سـوابـق عـبرة متى كان حكم الله في كرب النخل

(١٣٦) جالينوس وبقراط طبيبان يونانيان مشهوران.
(١٣٧) يشير بهذا إلى معرفة ابن رشد بالطب ومهارته فيه.
(١٣٨) غير واضحة في الأصل، وتلثها : تشدها وتوثقها.
(١٣٩) انهل عارضه: أي، جرت دموعه على خده.

(١٤٠) المراجل جمع مِرْجَل وهي القِدر.

(١٤١) القيعان جمع قاع، وهي أرض سهلة مطمئنة قد انفرجت عنها الجبال، والآكام والأكم جمع أكمة، وهي التل.

(١٤٢) هذا من المثل : في بيته يوتى الحكم.

(١٤٣) الأردان جمع رُدْن، وهو أصل الكُمّ.

(١٤٤) السمط : السلك، والأخدان جمع خدن وهو الصديق.

(١٤٥) تخبط في الشرك لم يستطع الخلاص منه.

(١٤٦) هذا مثل واختلف في سرحان هل هو اسم الذئب أو اسم رجل. وهو يضرب في طلب الحاجة تؤدي بصاحبها إلى التلف والهلاك.

(١٤٧) هذا البيت لابن الرومي.

(١٤٨) «في كل واد بنو سعد» مثل، وأصله أن الأضبط بن قُريع السعدي تحمل عن قومه وتنقل في القبائل فلما لم يُحمِدْهمُ رجع إلى قومه وقال : بكل واد بنو سعد.

(١٤٩) من الأمثال التي على وزن أفعل : ألذ من المنى.

وهذا من قول الشاعر:

منى إن تكن حقا تكن أطيب المنى ... وإلا فقد عشنا بها زمنا رغدا

(١٥٠) المعروفون من بني رشد هم أبو الوليد محمد ابن رشد الجد وأبو القاسم أحمد ابن رشد ولده وأبو الوليد ابن رشد الحفيد وأولاده.

(١٥١) الظُّلَم جمع ظلمة، والرُّبْد: المدلهمَّة.

(١٥٢) القعساء : الثابتة.

(١٥٣) الأثافي جمع أثفية وهي الحجر يوضع عليه القدر.

والأثا في ثلاث، والمقصود أولاد أبي الوليد الثلاثة وهم أبو القاسم وأبو الحسن علي وأبو محمد عبدالله.

(١٥٤) معرفة عَدّ أي كثيرة، ألسنة لُدّ أي شديدة ومبينة في الخصام والدفاع.

(١٥٥) من برى السهم وراشه، ويبري ويريش معناها يبذل جهده.

(١٥٦) ذو شجون أي ذو طرق. وهذا مثل يضرب في الحديث يتذكر به غيره.

(١٥٧) سورة يوسف : ٨٨.

(١٥٧م) العود أحمد: عبارة مثلية معروفة.

(١٥٨) الدبير : ما أدبرت به عن صدرك، والقبيل : ما أقبلت به إلى صدرك، يقال : فلان ما يعرف قبيلا من دبير. مختار الصحاح.

(١٥٩) الآية : ولا ينبئك مثل خبير، سورة فاطر : ١٤ .

(١٦٠) سورة البقرة : ٢٧٣ .

(١٦١) هذا البيت من قطعة تنسب لأبي جويرية العبدي ورويت أيضا لزهير. راجع الحماسة المغربية : ٣٠٧ ـ ٣٠٩ تحقيق الدكتور محمد رضوان الداية.

(١٦٢) هذا مثل معروف. التمثيل والمحاضرة : ٢٥٩ .

(١٦٣) قرطسوا : أصابوا الهدف.

(١٦٤) هذا عكس المثل : أساء سمعا فأساء إجابة.

(١٦٤م) هذا من الحديث: الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف.

(١٦٥) هذا من قول الشمّاخ أو الحطيئة :

إذا مـا رايـة رفـعـت لمجـد تـلـقـاهـا عـرابـة بـاليمـين

(١٦٦) هو امرؤ القيس حامل لواء الشعراء.

(١٦٧) إشارة سأشرحها فيما بعد.

(١٦٨) أي أنهم ليسوا كما قال الشاعر :

خلت الديار فسدت غير مسود

(١٦٩) من قصيدة مشهورة للحطيئة في مدح قوم بغيض بن شماس.

(١٧٠) يشير إلى المثل : لا يدري أسعد الله أكثر أم جذام.

يضرب فيمن يخفى عليه الأمر البين. الميداني وغيره.

(١٧١) يشير إلى البيت المعروف :

إذا قالت حذام فصدقوها فإن القول ما قالت حذام

(١٧٢) هذا البيت لأبي تمام.

(١٧٣) هو ولد ابن رشد الحفيد روي عن أبيه وجده وابن بشكوال وغيرهم، ولي القضاء، وتوفي سنة ٦٢٢ هـ، ترجمته في التكملة لابن الآبارر والديباج لابن فرحون.

(١٧٤) ـ العود : المسن من الإبل.

وهذا من قولهم في المثل : زاحم بعود أو دع. أي استعن على أمورك بالمشايخ الكمل وهم أهل السن والمعرفة.

(القاموس وتاج العروس.

(١٧٥) القدم المعلى : هو السابع من سهام الميسر وهو أفضلها.

(١٧٦) أي أولا وأخيرا.

(١٧٧) قلص الظل : تقلص وانقبض.

((١٧٨) هذا قول الرمة :

لـقـد عـلـقـت مي بـقـلـبـي عـلاقـة بطيئا على مر الشهور انحلالها

ديوان ذي الرمة ١ : ٥٠٦ ، ط. مؤسسة الرسالة.

(١٧٩) مقر السيادة : قد يكون المراد بها قرطبة ولعله يقصد أنه لازم والده صيفا وشتاء.

(١٨٠) هذا مأخوذ من قول الشاعر :

(يقيس ذراعا كلما قست إصبعا

(١٨١) مالك : هو إمام دار الهجرة مالك بن أنس وعلمه هو الحديث والفقه.

(١٨٢) يشير إلى المثل المعروف : فتى ولا كمالك.

((وقد قاله متمم بن نويرة في أخيه مالك بن نويرة لما قتل في الردة.

(١٨٣) لم أقف بعد على ما تشير إليه هذه السجعة.

(١٨٤) لم أقف بعد على صاحب هذا البيت.

(١٨٥) لا توجد ترجمة لأبي الحسن (أو أبي الحسين هذا) ولا نعرف هل اسمه علي أو محمد. وقد ذكر ابن رشد في بعض كتبه ولديه أبا القاسم وأبا محمد، ولكن حسبما وقفت عليه لم يذكر هذا الولد الثالث.

(١٨٦) هذا تصرف في المثل العربي : لا ناقتي في هذا ولا جملي.

(وأصله للحارث بن عباد حين قتل جساس كليبا. الميداني.

(١٨٧) يشير إلى قول الشاعر :

(وهل ينهض البازي بغير جناح

(١٨٨) هذا تصرف في قول القائل :

(كساع إلى الهيجا بغير سلاح

(١٨٩) يشير إلى الفضيحة التي جرتها على تيم مهاجاة الفرزدق وشاعر تيم.

(١٩٠) يشير إلى قول الأخطل :

لعمري لقد لاقت سليم وعامر على جانب الثرثار راغية البكر

- والثرثار واد كبير ينحدر بين سنجار وتكريت وعلى جانبه كانت الوقعة التي يشير إليها الأخطل.

القاموس وتاج العروس.

(١٩١) هذا عكس عبارة الحريري :

لقد استسمنت ذا ورم، ونفخت في غير ضرم.

(١٩٢) يشير إلى ربيعة بن مكدّم الكناني الذي واجه مغيرين من بني سلم على ظعن قومه بوادي الأخرم، فقتل أربعة منهم ثم طعنه بعضهم طعنة بلغت جوفه، فذهب إلى أمه يستسقيها، فأبت، وعصبت جراحه، وأمرته بأن يعود ويقف على الثنية كي يراه المغيرون فلا يتقدمون فصرف الظُّعُن، وركب فرسه واعتمد على رمحه ووقف على الثنية، ولما رآه بنو سليم كذلك انصرفوا فسلمت الظُّعُن، ولبث هو على فرسه يظنّ من رآه أنه حي وهو ميت، إلى أن مرّ ثعلبٌ بالقرب منه فنفرت الفرس فخرّ، ودفن بتلك الثنية، ولعله قال في هذا قبل موته:

إن كان ينفعك اليقين فسائلي عني الظعينة يوم وادي الأخرم

(١٩٣) نوء المرزم يكون معه المطر والبرد وفيه يقول الراجز :

أعددت للمرزم والذراعين فروا عكاظيا وأي خفين

أساس البلاغة.

(١٩٤) مثل معروف وأخزم من طيء كان عاقا وكان له أولاد وثبوا يوما على جدهم فأدموه فقال:

إن بني ضرجوني بالدم شنشنة أعرفها من أخزم

والمثل يضرب في قرب الشبه. الميداني.

(١٩٥) أورد ابن خفاجة هذا البيت غير منسوب في احدى رسائله، وفي روايته : كالرمح. ديوان ابن خفاجة : ٣١ . تحقيق الدكتور السيد مصطفى غازي.

(١٩٦) بياض في الأصل. وهو يدل على أن الناسخ وقف عند آخر ما وجده من المقامة ومن الواضح أنه بقي منها الكلام على ولد ابن رشد الثالث وهو أبو محمد عبدالله ثم خاتمة المقامة. وأبو محمد عبدالله الذي لم يصلنا مدح أبي بحر له في هذه المقامة له ترجمة في عيون الأنباء وله رسالتان مطبوعتان إحداهما في الطب والأخرى في الفلسفة.

رئيس الجلسة:

شكرا للأستاذ الدكتور محمد على هذا العرض الطيب الذي أحاط بجوانب الموضوع، وكنا نود أن يسترسل معنا لولا أن الوقت قد أدركنا. لا شك أيها الأخوة والأخوات أن الحديث عن النصوص حديث ممتع وشيق، وبخاصة حينما يكون النص مشحونا بمجالات تراثية أو تاريخية أو تعبيرية مما يقتضي جهدا غير عادي لتحليل النصوص، وقد نبه الأستاذ الدكتور ابتداء إلى أن النصوص المطبوعة التي بين أيدينا تنطوي على بعض الهفوات وحذر من الاعتماد عليها.

المناقشات

الدكتور محمود مكي، في الحقيقة أولاً لا بد أن أشكر الدكتور محمد بن شريفة على هذا البحث الذي قدمه، وكان ابن شريفة كالعهد به دائما، وكأني أرى فيه كثيرا من صفات ذلك العالم الذي كان تلميذا لابن رشد من سعة الاطلاع وغزارة المعارف ودقة البحث وجودة الاستنباط، أخيرا الغوص على هذه الذخائر المجهولة من المخطوطات التي تجلى كثيرا من جوانب الحياة الثقافية وغيرها في المغرب والأندلس معا. لدي عدة ملاحظات، حقيقة أنوه بما ذكره، هذه الملاحظة الذكية حول شرق الأندلس والاهتمام في هذه المنطقة بالعلوم القديمة بعلوم الأوائل وعلوم الفلسفة، وقد كان كلامه صحيحا تماما في هذه الناحية، وقد عرض أمثلة لهؤلاء العلماء الذين أثروا هذه المنطقة وأثروا الفكر الأندلسي بكثير من الأعمال الرائعة، ذكر أبا الحسن ابن سند، وذكر القوطي، وذكر كثيرا من هؤلاء العلماء في التصوف وفي العلوم القديمة، وقبل ذلك أيضا في اللغة وفي العلوم القديمة، وقبل ذلك أيضا في اللغة وفي العلوم القرآنية، ونذكر على سبيل المثال دانية، أخرجت لنا أبا عمرو الداني صاحب التيسير والمقنع، ونذكر مرسية التي أخرجت لنا صاحب المخصص والمحكم ابن سيده، وهذا ما يدعوني أيضا إلى مسألة متعلقة بذلك، أشار الدكتور بن شريفة إلى أبي عبدالرحمن بن ظاهر المرسي،فقط هنا تساؤل: أيكون أبو عبدالرحمن بن ظاهر هذا هو صاحب المناظرة بين النفس المطمئنة والنفس الأمّارة بالسوء الذي أورد رسالته ابن القطان ؟

الدكتور بن شريفة: نعم هو نفسه.

د. **محمود مكي**: هو هذا الذي اعتقدته، لأن الرسالة لها هذا الطابع الفلسفي وفي الوقت نفسه هي دعاية للتقرب من الموحدين وأشكره أيضا على المعلومة. أيضا فيما يتعلق بشرق الأندلس أشار إلى الجدل الذي دار بين ابن رشد مع الراهب المسيحي رامونده ما ترين،

هذا الجدل في الحقيقة في غاية الطرافة لأنه دار حول مسألة إعجاز القرآن، وذلك لأن الراهب المسيحي أشار إلى بيتين وردا في مقامات الحريري يتحدى فيهما الحريري الأدباء أن يزيدوا عليهما حينئذ أراد الراهب أن يجد في ذلك ملمزا لإعجاز القرآن، أي أن هناك من البشر من يستطيعون أن يأتوا بنصوص معجزة مثل القرآن تماما، وقد أورد هذا الجدل صاحب المعيار، وقد درسه من قبل فراندوا المستشرق الأسباني، وانتهى إلى دراسة شخصية هذا الراهب هل هو راميند ديمرتيه، انتهى إلى نص هذه النسبة، وأعتقد أنه كان على حق في ذلك، ولذلك، أنا أعتقد أنه ربما يستحسن الحذر في هذه الناحية، وقد قمت بدراسة جديدة لهذا الموضوع في بحث وقدم لمؤتمر مجمع اللغة العربية في السنة الماضية بحث أكثر تفصيلا حول هذا الموضوع. شيء آخر، الإشارة إلى محنة ابن رشد، أنا أعتقد فعلا كما قال د. ابن شريفة أن هذه المحن التي تعرض لها الفروعيون والمتصوفة والفلاسفة إنما كانت عملا يمكن أن نسميه ديماغوغية، مما تقوم به الدول لإرضاء العامة حينما يشعرون بسخطهم وتذمرهم من الفلاسفة، حينما كان يريدون أن يكسبوا شعبية رخيصة على حساب هذه الطوائف من المفكرين. شيئا آخر، ناحية أخيرة هي ورد في ص٦٠ هذا البيت غير المنسوب:

أخـــاك أخـــاك، إن مـــن لا أخـــا لـــه

كـســاع إلـى الـهـيـجـا بـغـيـر سـلاح

وهذا البيت لمسكين الدارمي ربيعة بن عامر، ومرة أخرى أهنئ الدكتور محمد بن شريفة على هذا البحث، وأهنئ هذه الندوة بمثل هذه الأبحاث الرائعة، وشكرا.

رئيس الجلسة:

شكرا أستاذ محمود، وأرجو من الأخوة المتكلمين أن يختصروا قدر الإمكان، لأن هناك وقتا محددًا للانتهاء من أعمال هذه الندوة.

الدكتور بن شريفة:

بالنسبة للشطر الأخير قلت كنت أعني بإثبات الإشارة لا إثبات نسبة النصوص، إلا إذا كان في المتن بيت شعر هذا هو الذي أقول بأنه لفلان. وفيما يتعلق بالراهب المسيحي الذي جادل ابن رشد، فإني كنت قد قدمت بحثا عن جذور الاستشراق الأسباني، وصعدت به إلى القرن الثالث حيث نجد أرجوزة طبعت أخيرا في فرنسا، رجز في آلاف الأبيات، نظم مزامير داود، وتحدثت عن قضية ابن رشد وخصمه واستدللت بمجموعة من الأدلة بأنه رامونـدو مارتين، وكان قد ذهب إلى مراكش وتعلم العربية في مراكش، ومدينة مراكش في ذلك العصر كانت فيها كنيسة، وكانت الرسائل تتبادل بين خلفاء الموحدين وبين الباباوات، وبعضها منشور، هذا الراهب ذهب إلى مراكش وتعلم البلاغة وحفظ مقامات الحريري.. وأنا مقصر لأنني لم أرسل إليك هذا البحث، وشكرا.

الدكتور محمود اسماعيل:

أثني على ثناء الدكتور مكي على صديقنا ابن شريفة، فقيمة هذه النصوص الجديدة ليست فقط في عملية البحث عنها وفي إظهارها منشورة لأول مرة وإنما لقيمتها الحقيقية، توظيف هذه النصوص في إلقاء الأضواء على محنة ابن رشد. وفي تقديري أن محنة ابن رشد كانت نتيجة لعبة سياسية لاكتساب ثقة عوام الأندلس. وفي تقديري أيضا أن الصراعات الفكرية في العالم الإسلامي كانت نتيجة لصراعات ومعطيات سياسية. الصراع في الشرق حسم تماما منذ أيام الغزالي

وانتهت المسألة بغلبة النص على حساب العقل. والعقيدة الموحدية في المغرب لم تكن فكرا عقلانيا أو ثورة فكرية ثقافية بل كانت نوعا من المزيج العقيدي، كانت تجمع بين الخارجية والأشعرية بين المذهب الشيعي والاعتزال وبين الظاهرية إلى آخره تحقيقا لغرض سياسي وهو التوحيد السياسي الذي تم بالفعل لأول مرة حيث نجح الموحدون في توحيد المشرق الأندلسي أو الغرب الإسلامي بوجه عام. فليست المسألة صراعا بين شرق الأندلس وغرب الأندلس بل كانت صراعا سياسيا بين التيارات العقلانية، وهنا كان ابن رشد توفيقيا في بعض المراحل، أعتقد أنه كتب فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال لهذا الهدف في حد ذاته، ولكن مع ذلك كان التيار في غير صالح أي ذرة من العقلانية، الذي ساد هنا بالفعل هو الفكر التومرتي، فالعقيدة التومرتية كانت قد انتهت عند المأمون الموحدي، وظهرت السياسة لتلعب دورا واضحا، وهنا بدأ الدور الحقيقي لابن رشد، وربما هو الدور الذي لم يفكر فيه في أعمال هذه الندوة وهو ابن رشد المصلح السياسي والاجتماعي. فالخطاب الرشدي صالح لما يجري الآن على صعيد الصراع الفكري في العالم الإسلامي.

تعليق د. ابن شريفة:

أخي الدكتور محمود يعرف تمسكي بالنصوص واعتمادي عليها اعتمادا كليا، ويعرف رأيي في عدم التوسع أو الكلام بدون اعتماد على النصوص أو على النقل أيضا. أول شيء، هل لدينا فعلا فلسفة حسمت في المشرق؟ هل لدينا إحصاء يثبت بأنه لم يظهر بعد الغزالي أحد في المشرق كله؟ في العالم الإسلامي هل لدينا إحصاءات؟ نحن نجد الناس كانوا يقرأون ابن سينا الذي ظلت كتبه متداولة، أوليست كتب ابن سينا من الفلسفة؟ لا يمكن إطلاق الأحكام هكذا، لا بد من

جرد التراث أولا ومن استخراج ما فيه من أشياء، أقول هل بقي الاشتغال بالفلسفة؟ وإلى أي حد؟ وبأي كم؟ دائما كانت هناك أقلية تنظر في كتب الفلسفة وتقرأها، وفي المغرب هناك مقولة تحتاج ربما إلى المراجعة تقول بأن ابن رشد انتهى بوفاته، والحقيقة أن السند ظل قائما، وعندنا ابن خميس صاحب التلمساني الذي رد عليه ابن هدية كان أستاذا للفلسفة في مدرسة في غرناطة أخذ عنه الناس، هناك يحيى بن هذيل. الفلسفة ظلت موجودة في فاس، والاشتغال بها موجود في كل حقبة، ابن رشد يجب أن يفهم في سياقه، وفي سياق زمانه، وفي سياق دينه، ومن خلال نصوصه ولكن الدكتور محمود له اجتهاداته في تفسير التاريخ وهي اجتهادات تقرأ، لكن المرجع دائما هو النصوص. وشكرا.

د. محمد عمارة:

أولا أحيي هذا الجهد الذي بذل في هذه النصوص وفي تحليلها وفي استخلاص دلالات جديدة، وأنا أضيف ما سمعناه اليوم حول محنة ابن رشد وغيره، أنبه إلى أن هناك سببا آخر ظهر في نقاش الأمس وفي نقاش اليوم، فالقضية لم تكن قضية الموقف من علوم الأوائل والفلسفة، وإنما كانت صراعا بين أهل الفروع وبين أهل الاجتهاد والأصول في داخل المذهب المالكي. ما سألت عنه بالأمس وأجاب عنه الدكتور مكي حول جدية محنة ابن رشد، وما أضافه الدكتور بن شريفة، يوحي أن هذه المحنة كانت وهْمًا أكثر منها حقيقة، وأن محنة ابن رشد لو قيست بالمحن التي عرفها الآخرون من العلماء على اختلاف تخصصاتهم لأدى ذلك إلى إعادة النظر في هذه الأسطورة التي تحدثنا عنها جميعا، وكتبنا عنها جميعا، وروينا فيها رواية الآحاد، رواية المراكشي الذي انفرد بالحديث عن هذه المحنة، وسألنا بالأمس

هل أحرقت كتب ابن رشد بالفعل كما قيل وكما كتبنا جميعا؟ وتبين أن كتب ابن رشد لم يصبها إحراق. أنا آمل من الدكتور مكي والدكتور ابن شريفة بحثا مفردا في قضية محنة ابن رشد، لأنها تحولت إلى قميص عثمان، ويُتَحدّث بها كما لو كانت محنة الأمة، وتوقف عقل الأمة بهذه المحنة، أنا أقول أن هذه الندوة بالأمس واليوم أضافت جديدا تماما في هذه القضية، ونحن في انتظار بحث جديد في هذه القضية على وجه التحديد، ولعلنا نطلب أيضا تحديد المدة الزمنية التي امتحن فيها ابن رشد؛ السنوات؛ أو الشهور؛ أو الأيام، لأن هذا سيجلي هذه العلامة من علامات الاستفهام التي تستغل كثيرا في هجاء العقل العربي والمسلم في تاريخنا الإسلامي، وشكرا.

د. ابن شريفة:

أؤيد ما قاله الدكتور عمارة، وأعده، سوف أقوم بالاشتراك مع الدكتور مكي إن شاء الله بالدراسة المقترحة.

د. عمار الطالبي:

أثني كما أثنى الإخوان السابقون على هذه المقالة أو هذا البحث، الذي تميز بتحليل تاريخي موفق، وعرض لنا خريطة بها ألوان المعرفة والحكمة بمختلف ألوانها في الأندلس شرقها وغربها، وبالنسبة للنص الذي أورده وهو مدح ابن رشد ذكرني بنص بمقدمة شرح ابن رشد لأرجوزة ابن سينا عنوانه مدح القاضي، وفيه هذا النوع من السجع والمقامة، فربما يكون هو نفس النص، لا أستطيع أن أحكم، وسأرسل لك بنصه لعله هو نفس النص، ثم إشارة خفيفة أنكم حقيقة ألقيتم ضوءا جديدا على المحنة بأطرافها المختلفة، والنقطة الأخيرة التي أشير إليها أني أثني على رأيكم في أن الفلسفة لم تتوقف على اعتبار أنها تسير تقليدية بلا إبداع سواء في المشرق أو المغرب فقد انتشرت فلسفة الشيرازي وغيره في إيران، وامتدت

وابن سينا ما زال حيا، وما زالت تدرس في تلمسان، وشرح الأرجوزة، وكذلك شرح القانون لابن سينا في كتب التراجم والمنطق يدرس حتى في الزوايا، تقليد على النحو الذي جاء به ابن سينا والشيخ الأخضري واستمر هذا التقليد إلى عصرنا هذا، وشكرا.

الدكتور حسن الشافعي:

أود أن أعبر عن استمتاعي بهذه المحاضرة، وقد صححت الورقة، والحمد لله لم يبق إلا النصوص الأخيرة، وشكرا لكم، بعض ما قلت قد قاله بالفعل الدكتور الطالبي، فقط أذكر الأبيات لأن الحوار أخذ في الأخير منحىً خاصا قد يفهم منه أن الثقافة الإسلامية لا يتسع صدرها للدرس الفلسفي أو الاطلاع على ما قاله الآخرون، هذا أمر خطير في الحقيقة. مع محبتي للجميع سأذكر أحد الأبيات التي أشار إليها:

وأبدأ بعلاقة ابن تيمية بالمنطق، فقد أصدر ثلاثمائة كتاب في المنطق ولا يمكن أن يحكم على المنطق أو ينتقده من ليس له علم به، فقط أشير في سياق استمرار السند في المشرق على الأقل أنه بعد الغزالي مباشرة، فأذكر شيخ الأشعري وهو الرازي صاحب دقائق الحقائق ورموز الكنوز وغيرها من الكتب الفلسفية التي عثر عليها أخيرا ثم نصرالدين الطوسي الذي كان أشد ولاء لابن سينا يعني القول أن السند الفلسفي قد انقطع، أو أن الدرس الفلسفي قد توقف، وأن الغزالي قد قضى عليه وعلى فلسفة المشرق حسم الأمر، هذا قول في الحقيقة لا يتفق مع الواقع لأن النصوص في أيدينا الآن، ولم يكونوا فقط يتكلمون من وجهة نظر كلامية إنما كانوا يدرسون الفلسفة، والآمدي درس الفلسفة على نصارى الكرخ في بغداد، يدرسون على مسلمين وغير مسلمين، ولكن ليس معنى أن أدرس مذهبا أن أعتنقه بل كانوا يدرسون ويتخذون مواقف معينة كما يهديهم إليه ثقافتهم

وحضارتهم وتمسكهم بموقفهم، لكن من الخطورة أن نظن أن ارتقاء الثقافة الإسلامية وازدهارها يرتبط بالتوقف عن درس تراثي آخر، هذا ما أردته فقط. وشكرا.

ابن شريفة:

أظن ألا داعي لأي تعليق فالأخوة كلهم تكلموا مخالفين أو مؤيدين لبعض ما قلته، فأنا شاكر لهم عنايتهم الكثيرة بالتعقيب على هذا الحديث، وشاكر لهم كذلك تنويههم به، وشكرا لكم جميعا على صبركم، وشكرا أولا وقبل كل شيء للمنظمة التي دعتنا إلى هذه الندوة القيمة المتميزة، حقيقة كانت هناك ندوات سابقة عن ابن رشد ولكن كانت تتناوله من جوانب محددة، مثلا ندوتنا في كلية الآداب كانت ابن رشد ومدرسته الفلسفية في الغرب الإسلامي، وكانت هناك ندوة في القاهرة وفرنسا، المهم هذه الندوة تناولت ابن رشد فيلسوفا وفقيها وطبيبا، وكانت فيها الفائدة كل الفائدة، فالحمد لله تعالى والشكر لله على جمعنا، والفضل يرجع للمنظمة والقائمين عليها، حياهم الله جميعا وأعانهم على ما هم بصدده، وأعاننا نحن كذلك على ما نحن بصدده، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

رئيس الجلسة:

أيها الأخوة الأعزاء بانتهاء هذه المحاضرة القيمة وتلك المداولات الثرية نأتي إلى نهاية أعمال هذه الندوة موجهين الشكر والتقدير للمحاضرين الكريمين في هذا المساء، وإلى الأخوة المشاركين في إثراء هاتين المحاضرتين. بعد خمس دقائق سنعود إلى الاجتماع للاستماع إلى كلمة رئيس المنظمة. وشكرا.

الجلسة الختامية

برئاسة

سعادة الدكتور عبدالرحمن عبدالله العوضي

رئيس المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية

الرئيس : الدكتور عبدالرحمن العوضي:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه الجلسة الختامية نرجو إن شاء الله أن تكون قصيرة، ولن نطيل فيها لأني أعتقد أن البعض لديه ارتباطات بالسفر، نحاول أن نلخص بإذن الله ما دار أو قد اجتهد به الدكتور أحمد في هذه الاجتماعات الطيبة. وقبل أن نعطي الكلمة للأخ الدكتور أحمد لي طلب وهو إعطاء الكلمة للدكتور ابراهيم بن مراد لمدة خمس دقائق: تفضل.

الدكتور إبراهيم بن مراد: في نهاية هذه الندوة يطيب لي شخصياً باسم المشتركين وخاصة من بلاد المغرب، أو كما يطيب للبعض اليوم عندنا في بلاد المغرب أن يسميهم بالمغاربيين، أن أعبر عن خالص الشكر وجزيل الثناء للمنظمة الاسلامية للعلوم الطبية ولمؤسسة الكويت للتقدم العلمي لما لقيناه من حفاوة الاستقبال وكرم الضيافة، ثم لما وجدناه من إحكام في تنظيم الندوة. قد وجدت آثاره في نهايتها أن هذه الندوة، وهي إحدى الندوات الكثيرة التي اشتركت فيها تتميز بأمور كثيرة لعل أهمها: فتح آفاق كثيرة مهمة جداً حول شخصية العالم ابن رشد، ثم إنها ندوة قد وصلت بين عناصر متفرقة كثيرة، فإن ابن رشد أندلسي، والأندلس قد أصبحت أثراً من الآثار إنها لم تبق، ثم إنه أندلسي مغربي، ونلاحظ أن هذا الأندلسي المغربي يحتفل به في بلاد المشرق بل في هذا ربط بين أواصر وعناصر تعد في الحقيقة روابط مهمة جداً، ثم إن هذه الندوة قد أظهرت كثيراً من المخفى أو قد أبرزت كثيراً مما كان مجهولاً عن شخصية هذا العالم الفيلسوف، ذلك بأنها قد قدمت وأضافت إلى ما

كان معروفاً من قبل إضافة جديدة، ثم لعل من أهم نتائج هذه الندوة كذلك النتائج الإيجابية أنها قد جمعت بين مجموعة من علماء العرب والمسلمين لعل الكثير منهم كان يسمع ببعضهم البعض ولا يعرفه، فكان من أهم ما وفرته هذه الندوة أن جمعت بينهم وتلاحقت أفكارهم وعرف بعضهم البعض المعرفة الحقيقية، أعتقد أن ما قامت به المنظمة يعتبر عملاً رائداً، وهي الندوة التراثية الأولى كما أرى هنا، لاشك أن الندوات القادمة ستكون على هذا المستوى كما وجدناه وأعلام العلماء الذين يستحقون أن يحتفل بهم وأن يرفع عنهم الغبار كثيرون، لأن هناك حقيقة مرة ينبغي أن نصدع بها، وهي أن عالمنا الإسلامي وخاصة العربي لا يخلو من إنكار الجميل، فإن كثيرين لايزالون إلى اليوم منسيين في بطون الكتب، وقد كان لهم شأنهم العظيم في الماضي، لذلك فإن المنظمة بتنظيم هذه الندوة في الحقيقة قد قامت بعمل جليل تستحق عليه كل الثناء وكل الشكر وأجدد شكري من جديد لما وجدناه من كرم الضيافة وحسن الاستقبال وشكراً جزيلاً.

الدكتور عبدالرحمن العوضي: الكلمة الآن للدكتور حسن الشافعي أيضا لكي يعطينا فكرته النهائية عن الندوة.

الدكتور حسن الشافعي: بسم الله الرحمن الرحيم، أرجو ألّا أزيد أنا والدكتور بن مراد عن عشر دقائق. بعد الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله صلى الله عليه وسلم فإنني بالأصالة عن نفسي وبالنيابة عن إخواني الأساتذة المصريين الذين شاركوا في هذه الندوة المتعلقة بابن رشد طبيباً وفقيهاً وفيلسوفاً، أتقدم في الحقيقة بعميق التهنئة لمنظميها والقائمين عليها لما حققته من نجاح وما تيسر لها من توفيق الله عز وجل، ونتقدم أيضا بوجه خاص إلى سعادة الدكتور عبدالرحمن العوضي رئيس المنظمة وجميع رجال هذه المنظمة وإلى الأستاذ الدكتور أحمد رجائي الجندي وفريق عمله المتميز شاكراً لهم حسن رعايتهم

وعظيم لطفهم ودائب جهودهم في إقامة الندوة التراثية الأولى بتنظيم وهمة مشكورين وفي خدمة المشاركين ورعايتهم وأنا منهم وتيسير مهمتهم بحيث ترك لدينا أجمل انطباع وأنبل المشاعر أن الندوة برغم أنها الأولى قد أتيح لها عدد من السمات تكلم عنها أخي الأستاذ ابن مراد، وأضيف إلى ما قال أنها استطاعت أن توفر مجموعة من البحوث أعدت سلفاً في دقة وتوثيق وأنها مطبوعة في إتقان وأناقة لا بأس بها، وأنها أتيحت لكل الحاضرين وليس فقط المشاركين، ونادراً ما يحدث هذا في الندوات. ثانياً أنها ضمت مجموعة من المتخصصين في الموضوع الذين قدموا من مداخلات وتعقيبات وإضافات بالغة الثراء في حوار علمي هادئ رزين ممثلين في ذلك لبلاد عديدة في دنيا العرب والمسلمين وأنها اتسمت بروح علمية في ثالث مميزاتها وبوعي حضاري جيد بما ينبغي عمله لإحياء تراثنا لا لمجرد الحفاوة به بل لإثراء الحاضر وخدمة الواقع الإنساني المعاصر، وإذا كنت أتحدث عن المصريين فنحن قوم وسط، ولذلك نحن نتوجه بالشكر الخاص لإخواننا المغاربيين أو المغاربة ولإخواننا المشارقة أيضا، ونحمد الله ونشكره على ما أفدناه من علومهم ومن تخصصهم، هنيئاً هنيئاً للكويت وللمنظمة الإسلامية للعلوم الطبية، وشكراً خالصاً منا للمشاركين ودعاء ضارعاً إلى الله تبارك وتعالى بمزيد من التوفيق، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والسلام عليكم ورحمة الله.

الدكتور عبدالرحمن العوضي: شكراً للدكتور حسن الشافعي على هذه الكلمة الطيبة وقبل أن أعطي الكلمة للدكتور أحمد أطلب إلى الأخ الدكتور عبدالله الغنيم بصفته رئيس اللجنة الثقافية والذي كان وراء التفكير في هذه الندوة وقد تحققت أول ندواته أن يلقى كلمته، وأنا أعرف الدكتور عبدالله سوف يطالبنا بندوات تراثية كثيرة، فأعطيه كلمة لمدة خمس دقائق.

الدكتور عبدالله الغنيم: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، أيها الحفل الكريم أساتذتي وأخواني أود في نهاية هذه الندوة أن أشكر كل من لبى دعوتنا في المساهمة في إحياء ذكرى ابن رشد، نشكركم أولاً على الاستجابة السريعة للمشاركة في هذه الندوة على الرغم من ضيق الوقت الذي أعطي إليكم، ونشكركم على العطاء القيم الذي استفدنا منه والذي استمتعنا به وبالمداخلات التي دارت خلال المناقشات، لقد كانت هذه الأيام أياما ثرية بالفكر وبالعلم الذي نفتقده في زماننا هذا، وأطمئن أخي الدكتور إبراهيم بن مراد أننا بالفعل قد بدأنا التفكير في ندوات تراثية قادمة تتعلق ببعض علمائنا أمثال الزهراوي وابن سينا وابن زهر وغيرهم من العلماء الذين ساهموا في ذلك النسيج الحضاري المتميز في العالم الإسلامي وندرس بجدية سواء من خلال لجنة التراث المنظمة أو من خلال مجلس الأمناء كما ناقشناه في جلستنا الأخيرة أن يكون ذلك على الأقل كل سنتين مرة. أحب أيضا في نهاية كلمتي الموجزة أن أشكر أخي الكبير الدكتور عبدالرحمن العوضي على الدعم الكبير الذي يقدمه لهذه المنظمة، ولا يبخل بوقت وبجهد أي ساعة من ساعات الليل والنهار في دعم أعمال هذه المنظمة، وهذه الندوة هي ثمرة من ثمرات ذلك الدعم الدائم من قبل الدكتور عبدالرحمن العوضي، كذلك أشيد بالجهد الكبير الذي بذله ويبذله أخي الدكتور أحمد رجائي الجندي، فهو الدينامو الحقيقي والمحرك الحقيقي لأعمال هذه الندوة، لولا جهده ومثابرته ومتابعته لما تم ما شهدناه من نجاح والحمد لله، أشكركم مرة أخرى على تكبدكم مشاق السفر وعلى العطاء المتميز الذي استفدنا منه ونرجو أن نلتقي في ملتقيات وندوات قادمة حافلة بالكثير من العلم والخير والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدكتور عبدالرحمن العوضي: الآن أعطي الكلمة للدكتور أحمد، وكما ذكر لكم الدكتور عبدالله قد يكون لنا فكر وتصورات إنما هذا الرجل يستطيع أن يحول الفكر إلى واقع، هذا الرجل كما ذكر الدكتور يعمل ليل نهار من أجل إبراز نشاط المنظمة بالصورة المتميزة، فله منا كل شكر، نعطيه الكلمة لكي نرى كيف استطاع أن يلخص أو يعطي فكرة عمّا دار وعن التوصيات. تفضل دكتور أحمد.

الدكتور أحمد رجائي:

بسم الله الرحمن الرحيم

في الحقيقة قبل أن أبدأ حديثي أحب أولاً أن أتقدم إليكم جميعا بخالص الشكر وجزيل الامتنان على التلبية السريعة الفورية لإرسالكم جميع الأبحاث وبالسرعة وبالموضوعات التي تم اختيارها، والتي ما كان بدونها أن تعقد هذه الندوة، ثانيا: قبل أن أدخل لموجز أعمال هذه الندوة أحب أن أتقدم بخالص الشكر وجزيل الامتنان إلى زملائي في اللجنة الثقافية الدكتور عبدالله الغنيم، والأستاذ عبدالحميد بسيوني، وإلى زملائي الذين ساهموا مساهمة كبيرة وبصبر كامل معي في إعدادي لهذه الندوة والمشاق الكثيرة الذي تحملناها في هذا العمل، ولا يفوتني ذكر دعم اللجنة التنفيذية التي وافقت منذ اللحظة الأولى على البدء فوراً في الإعداد لهذه الندوة وتوفير المبالغ اللازمة وتسهيل كل الصعوبات، وأحب أن أذكر ما ذكره أخي الدكتور عبدالله الغنيم، أن مجلس الأمناء وافق فعلاً في جلسته الأخيرة، نظراً لما توسمناه من النجاح، على ضرورة عقد مثل هذه الندوات مرة كل عامين لاختيار أحد علماء المسلمين والإعداد له ودراسته من زوايا مختلفة أيضاً. في البداية كان موضوع الندوة في الحقيقة هو ابن رشد، ولكن كنا أمام مقترحات مختلفة، هل نعقد الندوة عن ابن رشد الفيلسوف كما عقدت جميع

الندوات أم الفقيه أم الطبيب بحكم تخصصه، ولكن وجدنا أن نجمع بين الثلاث ونحن على يقين كامل من أننا لا نوفي هذا الرجل وهذا العالم حقه في أي مجال من هذه المجالات لكن الفكرة الحقيقية في زاوية الفلسفة نرى الفلاسفة يختلفون فيه وفي الفقه أيضاً لكن وجدنا أن نجتمع على أنه فقيه وفيلسوف وطبيب ومتميز في هذه المسائل ونحن أمام عالم موسوعي إسلامي.

والحقيقة أود أن تكون هذه الندوة البسيطة منطلقاً جديداً للنظر إلى تراثنا بصورة أفضل وبأسلوب يستهدف التعرف على حقيقة أفكاره وأن ندقق النظر في تراثنا ككيان حي ونابض بالفكر والعلم بدلا من أن يكون جامدا يستهدف التحقيق والتمحيص كما أراده لنا الغربيون، وأن نعود إلى طريقنا بعد أن اغتربنا عن جذورنا فأصبحنا بعيدين عن هذا المنهل العظيم الذي تركه لنا من سبقونا من علمائنا الأفذاذ.

ولعلنا نستطيع الآن أن نتواصى بالأمور الآتية:

أولا: إن دراسة التراث أصبحت الآن ضرورة ملحة لربط الجذور بالفروع وتنوير شباب الأمة الإسلامية بأن الحضارة الإسلامية لم تكن وهما بل كانت حقيقة وأنها كانت المصباح المنير الذي أضاء لأوروبا طريقها إلى نهضتنا.

ثانيا: الاهتمام بإدراج مثل هذه الشخصيات الإسلامية في البرامج الدراسية في جميع مراحل التعليم وإعطاء الجرعات المناسبة حسب كل مرحلة لعلنا نحيي في ضمائر أبنائنا الغيرة على دينهم وحضارتهم وعودتهم إليها من باب حب الاستزادة من علوم هؤلاء العلماء الأفذاذ.

ثالثا: إن تراثنا به من المادة العلمية الكثير الذي يجب الاستفادة منه في الوسائل الإعلامية المرئية والسمعية والمقروءة ربطا لأبناء الأمة وحفاظا على هويتنا أمام الهجمة الشرسة من محاولات التغريب لنا جميعا بعد

دخول الحضارة الجديدة في فلك الثورة المعلوماتية الكبيرة التي جعلت من عالمنا قرية صغيرة غير قادرة حتى الآن على استيعاب ما أصابها من هذه الثورة العظيمة.

رابعا: إن دراسة التراث يجب ألا تقتصر على تخصص واحد بعينه وألا تكون الدراسة لمجرد إخراج نص من التراث إلى حيز الوجود فقط بل يجب أن تكون الدراسة مشتركة بين العاملين في مجال التراث والمتخصصين في العلوم الكونية وذلك بهدف الاستعانة ببعضهم البعض للتغلب على الصعوبات التي قد تواجه أيا منهم منفرداً إضافة إلى ذلك فإننا نريد أن نستفيد من مادة التراث العلمي في المجالات العملية.

خامسا: تسهيل وتبسيط تداول الأعمال التراثية لغة ومادة علمية لتشجيع الباحثين في العلوم الكونية للاطلاع عليها ودراستها والاستفادة منها.

سادسا: إن أفاق العلم رحبة وإن الاختلاف في وجهات النظر يجب ألا يفسد للود قضية، «ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولايزالون مختلفين إلا من رحم ربك».

سابعا: إن العقل البشري هو مناط التكليف في الإسلام، وأن الدعوة إلى ضرورة استخدامه وإعماله دعوة إسلامية، فإن وافق العقل ما جاء به الدين من أحكام شرعية فعلينا أن نأخذ بها، وإن خالفها فالشريعة الغراء لها اليد العليا.

ثامنا: تشجيع الباحثين والعلماء المفكرين والمبدعين من أبناء الأمة الإسلامية لتأليف كتيبات صغيرة مبسطة عن علماء الأمة الإسلامية في جميع المجالات زيادة في المعرفة ونشرا للثقافة وتحصينا لهم من التغريب.

على أن يكون ذلك كله وفق منهج منضبط وأسلوب علمي دقيق يشار فيه إلى كل ما قيل من آراء، فإن هذه الاجتهادات لعلمائنا كانت اجتهادات بشرية فيها الخطأ والصواب، فإن أصاب شكرنا الله له، وإن أخطأ استغفرنا له، ورسولنا يقول ﴿**كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون**﴾ فإن أصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر على اجتهاده، وقول الله تعالى: ﴿**فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول**﴾.

الأخوة والأخوات:

إذا أردنا أن نتحدث عن الحضارة الإسلامية وعلماء الأمة الإسلامية فلن تنتهي أعمالنا فالبحر عميق لا نهاية له، والعطاء وفير، لكن النموذج الذي تطرقنا إليه كان للتذكير بتلك المآثر والدعوة إلى الدخول إليها بالطرق التي سلكها علماؤنا في الإسلام، ولا يسعني في النهاية إلا أن أتقدم بخالص الشكر وجزيل الامتنان لحضرة صاحب السمو أمير البلاد وسمو ولي العهد والنائب الأول لرئيس مجلس الوزراء على تكرمهم بمقابلة الوفود المشاركة رغم مشاغلهم الكثيرة إلا أن حرصهم الكبير على تكريم العلم والعلماء والاجتماع إليهم يقدمونه على كل المشكلات والهموم، فتحية خالصة طيبة نبعثها باسمكم جميعا إليهما.

كما أود أن أشكركم خالص الشكر وجزيل الامتنان على تفضلكم وحضوركم وتكبدكم المشاق للحديث عن هذا العالم المتميز داعيا المولى جلت قدرته أن يوفقكم ويرعاكم في حلكم وترحالكم.

كما لا يسعني إلا أن أتقدم باسمكم جميعا إلى الجنود العاملين وراء هذا العمل تنظيما وإدارة ليخرج لنا بهذه الصورة الرائعة فتحية خالصة طيبة إلى كل منهم صغيرا وكبيرا، والله أسأل أن يوفقنا جميعا إلى ما يحبه ويرضاه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الدكتور عبدالرحمن العوضي: شكراً للدكتور أحمد على هذا الإنجاز الجيد، ويبقى لي شخصياً أن أشكركم جميعاً على حضوركم ومشاركتكم لنا في هذه الندوة القيمة التي عشتها شخصياً، وإن لم أستطع حضور جميع جلساتها، بوصفي هاوياً في تقصي الفكر الإسلامي لأنني طبيب بسيط ولست بفقيه أو فيلسوف، إنما أهوى هذا الفكر العظيم الذي حمل هذه الرسالة، والذي جعل فعلاً لهذه الرسالة مكانة حضارية كبيرة، والمؤسف حقاً أن نجد هذا الاغتراب الكبير عن هذا الفكر بالتعصب أو التشدد، أعتقد أننا أمام نظرة جديدة نرجو أن يمكننا الله أن نلقي الضوء على هذا الفكر بصورة جديدة، وقد يتعجب البعض أننا حاولنا في هذه الجلسات القصيرة أن نجمع هذا المفكر العظيم الجليل بفلسفته وفقهه وطبه، يمكن جزء بسيط من فقهه أو فلسفته تأخذ أياما عدة أشهر للدراسة، إنما أعتقد يجب أن تكون نظرتنا الآن لهؤلاء الفقهاء وهؤلاء العلماء نظرة جديدة تتمشى مع هذا العصر، لأننا نريد أن نربط الماضي بالحاضر، نحن نعيش عصر الترنزستور عصر الماكروشيبس التي أصبحت المكتبات الكبيرة في كبسولات صغيرة يجب أن نبدع في إظهار معالم هؤلاء المفكرين بصورة جديدة نبعدهم عن ما دار من خلافات حولهم إنما نعيش ما عاشوه من فكر متجدد وننظر كيف استطاعوا بذلك الوقت أن يتجرأوا على ذلك الفكر في العصر الذي كانت الظلمات فيه تخيم على العالم الغربي، وكيف أن هذا الفكر أضاء الطريق لهؤلاء العلماء أن يخرجوا لهذه النتائج الحضارية الكبيرة، إنما للأسف الشديد أن النتاج حاليا نتاج يبتعد عن الإيمان، نتاج قد زاد وتمادى في المادية، وأبعد الإنسان عن جوهره، والإسلام يتميز بالمحافظة على هذا رغم كل فكر، ورغم كل تصور، فلذلك نحن في المنظمة نحاول أن نجمع هذا الفكر بهذا الأسلوب، قد يكون الأسلوب صعباً إنما هو الأسلوب السهل الممتنع، فعلينا إن شاء

الله أن نوفق في عقد هذه الجلسات وأنا شخصياً قد سعدت كثيراً وأعتقد أنكم قد سعدتم بأن تعيشوا مع هذا العالم وكل ما أتمناه فعلاً أن روح هذا العالم قد عاشت معنا بنفس السعادة لأننا استذكرناه بالخير بالعمل الخيري والفكري المستنير المتقدم. ويبقى لي في نهاية هذه الكلمة البسيطة وقد سهل على الإخوان الذين سبقوني، أنْ أتوجه بالشكر لكم جميعاً على حضوركم إلى بلدنا الكويت ولهذه المنظمة البسيطة التي تسعى من أجل الفكر الإسلامي حتى تضيء إن شاء الله الطريق لمن يأتون بعدنا، نحن في فترة تحتاج إلى تكاتف وتعاون ونبذ كل خلاف، ونحن أمام هجمة كبيرة ضد هذا الدين كوجود، فيجب علينا ألّا نتأخر أبداً، ويجب أن نتعاون ونشد آزر بعضنا البعض حتى نقف أمام هذه الهجمة الآن التي تحاك ضد هذا الدين العظيم، لأننا فعلاً لدينا ما نعطيه لهذه الحضارة، الحضارة حاليا في حاجة إلى إيمان قوي مرتبط بالواقع، فلذلك أعتقد أن الإسلام لديه هذا الحل، إنما يبقى على العلماء والمفكرين أن يقدموا هذا الحل، نحن بعيدون مع الأسف الشديد عن صناعة الفكر في العالم ونحن لدينا الكثير لو استطعنا أن نستعمل هذه الوسائل الكبسولية الماكروشيبس وندخل هذه المفاهيم بالفكر العالمي نستطيع أن نغير هذا الفكر ونوجهه إن شاء الله التوجه الذي يرضي الله.

وما علي في الختام إلّا أن أشكر جميع العاملين الذين قاموا بهذه الندوة أساتذتنا الأفاضل لهم دور كبير وفضل كبير رغم كل المصاعب لكن استطاعوا أن يحضروا معنا، بطبيعة الحال هناك دائما قصور، فأعتذر لكم إن كان هناك قصور، إن كان في طباعة الأبحاث وإن كان في أي أمر من الأمور، قد لا يكون بالمستوى الذي توقعتموه، إنما كل إنسان يحاول أن يجتهد ونحن اجتهدنا ونرجو من الله ألّا نكون قد قصرنا في خدمتكم وفي إظهار هذه الندوة بالصورة التي يجب أن

تكون، وأيضا لابد في هذه المناسبة أن نشكر صاحب السمو أمير البلاد الذي دائما تحظى المنظمة عنده بحظوة خاصة، وهو رجل ترجم ونشر ووزع نتاج المنظمة وأعطاها لرؤساء الدول في مؤتمر القمة الإسلامي، لأنه يؤمن بأن هذه الأفكار التي تحاول أن تنظر بصورة جديدة للفكر الإسلامي وتربطه بالواقع في اللحظة الحالية هي الأفكار التي تستطيع أن تغير هذا العالم، ومن دون هذا الشيء سنكون بعيدين عن المشاركة ومعايشة الفكر الحاضر.

وختاما أشكر جميع المنظمين الجنود المجهولين المصورين وغيرهم من الذين يحاولون أن يجعلوا من هذه الندوات تثبيتاً للحظات التاريخ تسجل ما شاءوا، وأرجو أن نستكمل نشر محاضر هذا الاجتماع الطيب ونوزعه إن شاء الله عليكم، وأن نوفق إن شاء الله في أن نكون في خدمتكم دائما، وباسمه ابتدأنا، وعليه توكلنا، وبحمده توفقنا، وأستودعكم الله، وأتمنى لكم إن شاء الله أن توفقوا دائما إلى ما فيه الخير والسداد لخدمة هذه الأمة، ولبعث هذا الفكر من جديد، لأننا في زمن لا يعيش إلا من لديه الفكر المستنير ليستطيع أن يتعايش مع هذا الحال، وأشكركم مرة أخرى، وأستودعكم الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

أسماء

المشاركين في الندوة

أسماء المشاركين في ندوة ابن رشد

م	الاسم	العنوان
١	د. إبراهيم جميل بدران	٢ ش دار الشفاء جاردن سيتى – القاهرة
٢	د. إبراهيم بن مراد	٤٧ ش عبدالعزيز الثعالبى ٢٠٩٢ المنار تونس
٣	د. احمد ابو الفضل	طبيب بمركز الطب الإسلامي – الكويت
٤	د. ابو شادى عبدالحفيظ الروبى	٣١ميدان التحرير القاهرة
٥	د. احمد القاضى	Institute of Islamic Medicine for Education and Research, 340 W. 23rd Street, Suite E., Panama City, Flofida 32404, USA.
٦	د. احمد الشطى	الجمعية الطبية الكويتية
٧	د. احمد رجائي الجندى	الامين العام المساعد للمنظمة ورئيس مركز الطب الإسلامي – الكويت
٨	الحكيم محمد سعيد	Hamdard Foundation, Hamdard Centre, Nazimabad, Kararachi - 74600, Pakistan
٩	د. جمال العشيرى	كلية طب الأسنان جامعة القاهرة
١٠	د. حامد جامع	وزارة الاوقاف – الكويت
١١	د. حسان حتحوت	101 N Grand Ave 2, Pasadena CA 91103 U.S.A.
١٢	د. حسن الشافعي	كلية دار العلوم جامعة القاهرة رئيس قسم الفلسفة
١٣	د. حمد العباد	نائب رئيس مركز الطب الإسلامي – الكويت

م	الاسم	العنوان
١٤	د. حسين الجزائري	الاسكندرية المدير الاقليمي لمنظمة الصحة العالمية وعضو مجلس امناء – المنظمة
١٥	د. خالد المذكور	عضو مجلس امناء المنظمة – الكويت
١٦	الاستاذ خالد المحيلان	مؤسسة الكويت للتقدم العلمي – الكويت
١٧	د. سالوناس حسن اسماعيل	101 N Grand Ave 2, Pasadena CA 91103, U.S.A.
١٨	د. صلاح العتيقى	عضو مجلس امناء المنظمة – الكويت.
١٩	د. عادل الفلاح	وكيل وزارة الأوقاف المساعد لشؤون الحج – الكويت
٢٠	المستشار عبدالله العيسى	عضو مجلس أمناء المنظمة الاسلامية للعلوم الطبية – الكويت
٢١	د. عبدالله الغنيم	عضو مجلس امناء المنظمة – الكويت
٢٢	د. عبدالله المهنا	عميد كلية الآداب – جامعة الكويت
٢٣	الاستاذ عبدالحميد الطالبى	برزكراه رسالت مقابل ضلع شمالى مصلى مجتمع امام خمينى ره طهران t -ايران
٢٤	الاستاذ عبدالحميد البسيونى	الديوان الاميري – الكويت
٢٥	د. عبدالرزاق العدوانى	مستشفى ابن سينا – الكويت
٢٦	د. عبدالرحمن صالح المحيلان	وزير الصحة – الكويت
٢٧	د. عبدالرحمن العوضى	رئيس المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية–الكويت
٢٨	د. عبدالمنعم عبيد	مستشفى المواساة – الكويت
٢٩	د. عباس على خان	مؤسسة الكويت للتقدم العلمي – الكـ ـت

م	الاسم	العنوان
٣٠	د. عجيل جاسم النشمى	عميد كلية الشريعة - الكويت
٣١	د. عصام الشربينى	مستشفى الصباح - الكويت
٣٢	د. على السيف	الامين العام للمنظمة - الكويت
٣٣	د. عمار الطالبى	جامعة قطر الدوحة كلية الانسانيات والعلوم الاجتماعية ص ب ٢٧١٣
٣٤	د. فادية عبد المقصود	٨ ش مختار مصر الجديدة القاهرة
٣٥	السيدة نجلاء احمد خليل	٢ ش دار الشفاء جاردن سيتى القاهرة
٣٦	الشيخ محمد الواعظ الخراسانى	برزكراه رسالت مقابل ضلع شمالى مصلى مجتمع خمينى ره ايران طهران
٣٧	الشيخ محمد هلال	مقابل مسجد مركز الطب الإسلامي
٣٨	الدكتور محمد المأمون	جامعة الكويت
٣٩	د. محمد بن شريفة	مدير الخزانة العامة للكتب والوثائق بالرباط المملكة المغربية
٤٠	د. محمد حجى	٥٣ شارع علال بن عبدالله - الرباط المملكة المغربية
٤١	الشيخ محمد حسين المظفرى	برزكراه رسالت مقابل ضلع شمالى مصلى مجتمع امام خمينى ره ايران طهران
٤٢	د. محمد رضا الجندى	٢٩ ش الامين شبين الكوم منوفية - مصر
٤٣	د. محمد عمارة	٢٦ ش الزيتون القاهرة
٤٤	د. محمود يوسف علي مكى	١٤ش مصطفى مختار النزهة مصر الجديدة القاهرة
٤٥	د. مصطفى محمد الفاخرى	ليبيا - جامعة العرب الطبية
٤٦	د. يعقوب الشراح	الأمين العام المساعد المركز العربي للوثائق والمطبوعات الصحية - الكويت